المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢١ شوال سنة ١٣٣٣

معادن السلاح والذخيرة

مقابلة بين ما عند الفريقين المتحاربين منها

المعادن اللازمة لصنع الميرة والذخيرة وفي جملتها القنابل والمدافع كثيرة وهي الحديد (ومنهُ يصنع الفولاذ) والمنغنيس والنكل والكروم والنحاس والالومنيوم والزنك والرصاص والقصدير . وفي بلاد الفريقين المتحاربين كثير او قليل منها . وقد اشتهر ان ما عند المانيا والنمسا من النحاس لا يكفيها وان افتقارهما اليهِ قد يضطرهما الى بذل وسعهما في تقصير اجل الحرب لئلا تضطرا الى طلب الصلح قبل الاوان . وغرض هذه المقالة المقابلة بين ما عند الفريقين من المواد المذكورة

الحديد

اهم المواد اللازمة لعمل الميرة والذخيرة الحديد ومنهُ تصنع المدافع ودروع الحصون والبوارج والمقذوفات المعدة لخرق تلك الدروع والقنابل الشديدة الانفجار وغير ذلك . وعند الفريقين القدر الكافي من معدن الحديد ولكنهُ في المانيا والنمسا اوطأ نوعاً مما هو في بلاد الحلفاء . والمانيا وانكلترا تستوردان مقداراً كبيراً من الحديد الاسوجي الذي يصنع منهُ احسن انواع الفولاذ (الصلب) وانكلترا تستورد كثيراً منهُ من اسبانيا ايضاً

المنغنيس

يستعمل هذا المعدن في تحويل الحديد الى الفولاذ اللازم لصنع غلف القنابل الشديدة الانفجار والقنابل الرشاشة المسماة شرابنل . وروسيا اولى البلاد في استخراج هذا المعدن تليها الهند فالولايات المتحدة الاميركية . وقد استخرجن سنة ١٩١٣ نحو ٩٣ في المئة من مجموع المنغنيس الذي استخرج في تلك السنة . وفي هذه السنة عينها استوردت المانيا ٦٧٠ الف

طن من ذلك المعدن من الخارج وخصوصاً روسيا . وبلغ مقدار ما استخرج منهُ من مناجمها ٩٠١ الف طن سنة ١٩١٢ ومن مناجم النمسا نحو ١٧ الف طن

على انهُ ليس ثمة سبب كاف يحمل على الجزم بان قطع جميع المصادر والموارد الخارجية عن المانيا والنمسا يعرقل حركاتهما كثيراً فان المانيا اصدرت ٤٣٠٠٠٠٠ طن من مصنوعاتها الفولاذية سنة ١٩١٣ فيمكنها والحالة هذه استخدام ذلك لسد حاجاتها وحاجات حليفتيها النمسا وتركيا من الذخيرة اذا استطاعت الحصول على المنغنيس الكافي . ومعلوم ان هذا المعدن كثير الانتشار بين المعادن اذ يوجد ممزوجاً بكثير منها . ثم انهُ لا يبعد ان يهتدي علماء الالمان الى طريقة يغيرون بها كيفية صنع الفولاذ ليستغنوا عن انفاق مقادير كبيرة من المنغنيس على ذلك . كما انهُ لا يبعد ان تكون المانيا قد ادخرت قبل الحرب مقادير كافية منهُ او انها اكتشفت مادة اخرى تقوم مقامهُ

النكل

اما النكل فلا غنى عنهُ في عمل المدافع والدروع والقذائف المعدة لخرق الدروع والرصاص . وبشك في هل اكتشف الانسان مادة تحل محلهُ . فهو والحالة هذه من معادن السلاح الكبيرة الشان . وقد بلغ مقدار ما استخرج منهُ سنة ١٩١٢ في العالم كلهِ نحو ٢٦٥٠٠ طن منها ٩٨٫٥ في المئة استخرجت من بلاد الجلفاء وخصوصاً كندا والباقي وقدرهُ ٤٠٠ طن فقط استخرج من نروج . وقد تستمين المانيا بنكل نروج ولكنهُ لا يكفيها . فاذا لم تكن قد ذخرت منهُ قبل الحرب اضطرت ان تلجأ الى مناجمهِ في بلادها وهي قليلة لا يكاد ما تخرجهُ يذكر في جنب حاجتها منهُ

الكروم

ومثل النكل في اهميتهِ معدن الكروم فانهُ لازم لصنع الدروع والمقذوفات المعدة لخرقها . وهو يخرج من نيوكليدونيا من جزر الباسيفيك التابعة لانكلترا وروديسيا في جنوب افريقية وروسيا . وكانت اليونان وبلاد الاناضول تستخرجان مقداراً كبيراً منهُ ولكنهُ قل في السنين الاخيرة . والمرجح ان المانيا والنمسا تأخذان منهما ما تحتاجان اليهِ من هذا المعدن . واذا انضمت اليونان الى الحلفاء بقي الاناضول مفتوحاً في وجه المانيا والنمسا وفيهِ من الكروم ما يكفيهما

النحاس

ولنأتِ الآن الى النحاس الذي قامت حولهُ تلك الضجة الكبيرة وليل ان ما عند المانيا

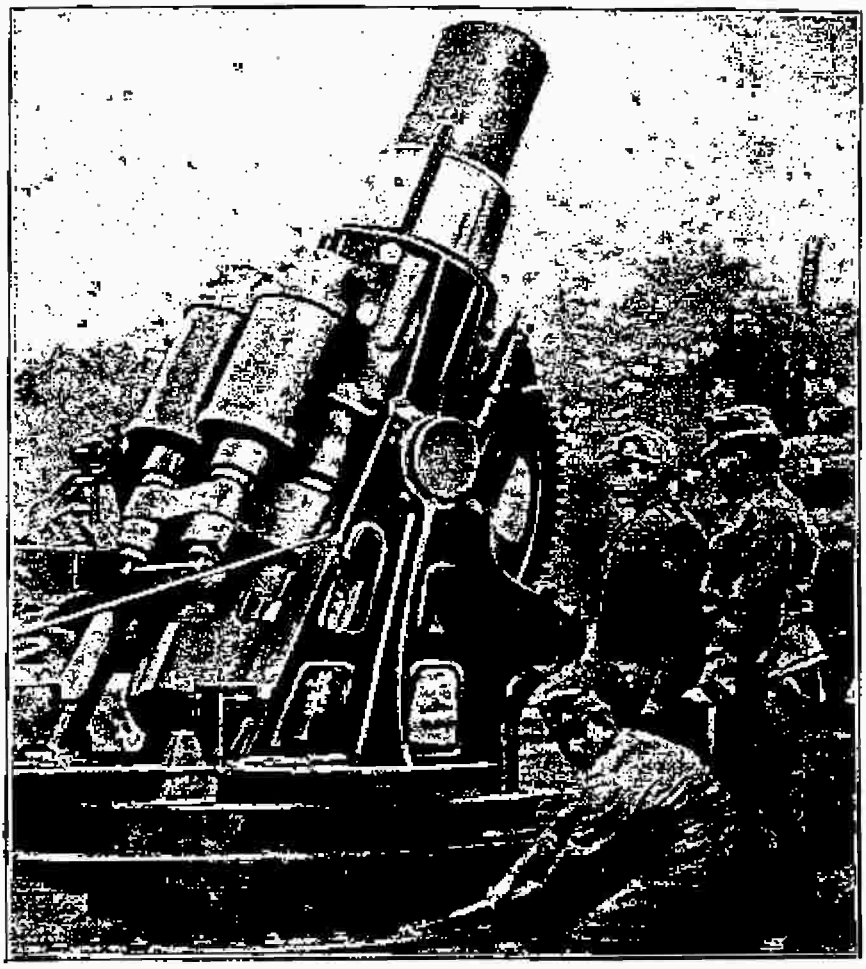

مدفع سكودا الغوري والاسطين التي حولهُ فيها المواسك التي ترجعهُ الى وضعهُ الاول بعد ارتداده

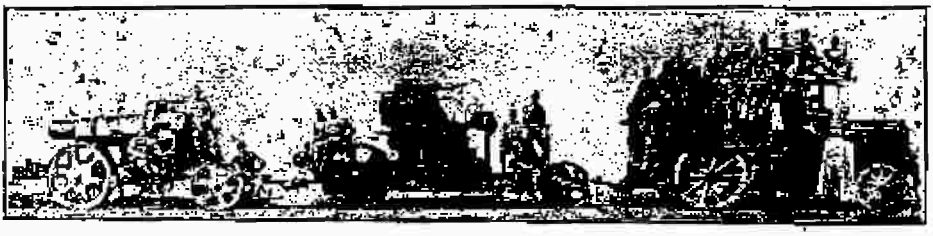

مدفع سكودا ولوازمهُ من الرجال والذخيرة في اوتوموبيل يجرها ويجرهُ

المقتطف صفحة ٢١٤ مجلد ٤٧

قنبلة من قنابل المدفع الالماني الذي قطر فوهتهُ ٩٦ بوصة

مدفع عثماني قديم في كليد البحر قطر فوهتهِ ٢٩ بوصة ومعهُ قنابل الحجر التي كانت تطلق بهِ

المقتطف صفحة ٥ ٢ مجلد ٤٧

منهُ لا يكفيها ولا سبيل لها الى الحصول على كفايتها منهُ ما دامت محصورة وطرق المواصلات بينها وبين الخارج مقطوعة فان لم تسلّم بسبب حاجتها الى الطعام سلمت بسبب حاجتها الى النحاس

جميع القنابل من رشاشة وشديدة الانفجار وخارقات الدروع تمنطق بمنطقة من النحاس لمنع احتكاك القنبلة بجوانب المدفع ولمنع خروج الغازات منهُ قبل انطلاق القنبلة . وكانت العادة قبل الحرب ان يمزج النحاس بالزنك لان الزنك ارخص من النحاس . اما الآن وقد بات اغلى منهُ فليس في مزجهِ به اقتصاد بل اسراف . ثم ان غلف الخراطيش وفتيل القنابل وكثيراً من متعلقات المدافع البرية والبحرية تصنع منهُ فضلاً عن انهُ لازم كل اللزوم لصنع البرونز وهذا لا غنى عنهُ في كثير من ادوات الحرب

ومتوسط ما استخرج من النحاس سنوياً في العالم كلهِ نحو مليون طن منها ٥٥ في المئة استخرجتهُ الولايات المتحدة سنة ١٩١٣ . وتليها في الرتبة اليابان فانها استخرجت ٧٫٣ في المئة ثم اسبانيا والبرتوغال والمكسيك واستراليا وتوابعها وروسيا وشيلي . وقد استخرجت كل منها بين ٤ و٥ في المئة . ثم ايطاليا ١٦٫٠ في المئة فانكلترا ٣٫٠٠ في المئة . اما فرنسا فلم تستخرج شيئاً . واما المانيا فاستخرجت ٢٫٥ في المئة والنمسا ٤٫٠ في المئة . فجميع بلاد الحلفاء واعدائهم تجلب النحاس من اميركا لسد حاجتها الا اليابان . فقد جلبت المانيا منهُ ١٣٧ الف طن سنة ١٩١٣ . وفرنسا ٧١ الفاً . وايطاليا ١٨ الفاً . والنمسا ١٧ الفاً . وانكلترا ١٥ الفاً

ولا يزال الحلفاء يجلبون من اميركا ما يحتاجون اليهِ من النحاس ولكن يرجح ان المانيا والنمسا المحصورتين الآن جلبتا منهُ بواسطة المحايدين اكثر مما يظن ولو كان ذلك لا يكفيهما ولا سيما بعد انضمام ايطاليا الى الحلفاء . فقد قدر ما استهلكتهُ المانيا منهُ بمبلغ ٢٦٥ الف طن سنة ١٩١٣ والنمسا بمبلغ ٥٠ الفاً . وليس ثمة سبيل الى تقدير ما تستهلكان منهُ الآن هما وحليفتها تركيا ولكن المؤكد انهُ انما يستعمل فيها لا يمكن الاستغناء عنهُ . والمرجح كل الترجيح ان المانيا خزنت منهُ مقادير كبيرة قبل الحرب . على ان شراءها اياهُ اخيراً باثمان باهظة يدل على مبلغ ما انفقتهُ منهُ وعلى ان ما في خزائنها منهُ قليل . وهناك امران لا نزاع فيهما الواحد ان جميع مناجم النحاس والمعامل في المانيا لا تنقطع الآن عن العمل البتة وتعمل باقصى قوتها . والثاني ان علماء المناجم والمعادن فيها نقبوا عن معدن تصنع منهُ مناطق القنابل بدل النحاس

الالومنيوم

ان حرب الهواء رفعت شأن الالومنيوم وسودته على سائر المعادن ولكن نفعهُ غير محصور فيها . فانهُ كان قليل الاستعمال حتى اواخر القرن الماضي اذ اصبح من المعادن الرائجة الكثيرة الاستعمال في جميع مرافق الحياة . ومنذ ٣٠ سنة بلغ مجموع ما استخرج منهُ ٥٥٠٠ رطل فلم تأت سنة ١٩١٣ حتى قدر المستخرج منهُ بمبلغ ١٧٣ مليون رطل فلا يتقدمهُ في ذلك غير الحديد والرصاص والنحاس والزنك والقصدير . ويقول احد العلماء انهُ لا ينتصف هذا القرن حتى يصير ثاني النحاس بل يسبقهُ . فهو الآن ارخص من القصدير رطلاً لرطل ومن النحاس ايضاً سواء كان ذلك في اعتبار الحجم او قوة الايصال الكهربائية . وقد اخذت دائرة استعمالهِ وتطبيقهِ على حاجات المعيشة تتسع اكثر من دائرة الرصاص او الزنك

ومن الالومنيوم تستخرج المادة المفرقعة المعروفة باسم « امونال » وهي مؤلفة من نترات الامونيوم والالومنيوم مقطعاً اجزاء صغيرة جداً وتستعمل لحشو القنابل بها مع غيرها . والنمسا تستعملها لحشو قنابل البطريات من طراز هوتزر . وقد استخرجت الولايات المتحدة وكندا سنة ١٩١٣ نصف الالومنيوم المستخرج في تلك السنة . والباقي استخرج من فرنسا وانكلترا وسويسرا على حدٍّ سوى فالحلفاء احسن حالاً بالنظر الى هذا المعدن من الفريق الآخر . اما المانيا فتستمد بعض ما تحتاج اليهِ منهُ من سويسرا ومنذ بدأت الحرب شرعت في استخراجهِ من ارضها

الزنك (التوتيا)

بلغ ثمن الزنك بعد الحرب خمسة اضعاف ما كان قبلها وكان ثمنهُ قبلها ثلثي ثمن النحاس فبات بعدها اغلى منهُ رغم ارتفاع ثمن النحاس كما هو معلوم . وهو يستعمل ممزوجاً بالنحاس لعمل غلف الخراطيش وتغليف القنابل وتلبيس بهِ الاسلاك الشائكة المصنوعة من الحديد . وكانت الولايات المتحدة والمانيا والبلجيك اكثر البلاد استخراجاً لهُ سنة ١٩١٣ . وتستخرج فرنسا واسبانيا وانكلترا كميات كبيرة منهُ ولكنها لا تكفيهن . ومناجمهُ كثيرة في سيليزيا الالمانية والمجر وكرنثيا والتيرول في النمسا . وكانت المانيا تأخذ حاجتها من الزنك حجارة قبل الحرب من مناجم استراليا فلما شهرت الحرب انقطع ذلك الوارد طبعاً . ولكن بعض البواخر بقيت تهربهُ فضبطت انكلترا ٨٠ الف طن منهُ وهي ملقاة عرضاً في ارضها لا تستطيع الانتفاع بهِ لان افرانها ليست ملائمة لصهرهِ وتخليصهِ من الخبث فهي تستورد ما يلزمها من الولايات المتحدة

الرصاص

تستخرج المانيا والنمسا من الرصاص ما يكفيهما ويزيد. اما الحلفاء فان استراليا اكثر بلادهم استخراجاً لهُ ولكن ما يستخرج منها لا يكفيهم فهم مضطرون لذلك ان يستوردوا الرصاص من الولايات المتحدة واسبانيا والمكسيك. اما الرصاص فيدخل في تركيب شرابنل ممزوجاً بالانتيمون وقد ارتفع سعر الانتيمون في هذه الحرب كالزنك تقريباً وان تكن قنابل شرابنل اقل نفقاً بكثير من قنابل المواد الشديدة الانفجار في الهجوم ومتوسط ما يستخرج من الانتيمون في السنة من الدنيا كلها ٢ الف طن تُثلثها تستخرجها الصين ومعظم الثلث الباقي فرنسا. وكانت المجر تستخرج قبل الحرب ٨٠ طنّ في السنة ولكنها تستطيع زيادة ذلك كثيراً حين الاقتضاء

القصدير

متوسط ما يستخرج من هذا المعدن من جميع بلاد الدنيا ٢٠ الف طنّ واول البلاد استخراجاً لهُ ولايات ملقا فانها تخرج نحو النصف ثم انكلترا فالمانيا فاستراليا فالصين

***

وخلاصة ما تقدم ان المانيا وحلفاءها يخرجون ما يكفيهم من خمسة معادن لازمة لعمل السلاح والذخيرة وهي الحديد والمنغنيس والكروم والزنك والرصاص. ويشك في قدرتهم على اخراج ما يكفيهم من الخمسة الاخرى وهي النكل والنحاس والالومنيوم والقصدير والانتيمون. ولكن لما كانت المانيا قد اعدت لهذه الحرب عدتها من قبل يستنتج انها خزنت مقادير كبيرة من المعادن التي ليس منها في ارضها ما يكفيها. ومهما تكن ثقة القيادة الالمانية العليا بالنصر السريع عظيمة فلا ريب انها اتخذت الحيطة لحرب طويلة اذا اقتضى الامر ولا ريب ان ادخار المعادن التي تعوزها كان في جملة ما تحوطت لهُ. فليس والحالة هذه سبب مقبول يحمل على القول ان المانيا وحلفاءها تعوزهم المعادن اللازمة للحرب قريباً مهما تفاقم امر الحرب واتسعت دائرتها. ولا ريب ان علماء المعادن في المانيا يدأبون في التنقيب عن مواد تسدّ مسد المعادن التي يخشى نفادها في حرب طويلة

اما الحلفاء فيخرجون ما يحتاجون اليهِ من الحديد والمنغنيس والنكل والكروم والقصدير ومعظم حاجتهم من الالومنيوم. ولما كان زمام البحر في ايديهم فانهم يستطيعون جلب ما ينقصهم من الالومنيوم والنحاس والرصاص من الخارج وخصوصاً الولايات المتحدة. وما ينقصهم من الانتيمون من الصين. فلا يعوزهم الاّ الزنك بالرغم مما تبذلهُ معامل اميركا من الجد والهمة في تخليصهِ من معدنهِ قبل ارسالهِ الى انكلترا

مدفع سكودا الثمسوي

خطب المستر بلفور وزير البحرية الانكليزية خطبة قال فيها ان حساب الالمان اخطأ في كل شيء ما عدا الذخيرة والمدافع . اما الذخيرة فقد دلّت المعارك التي حدثت حتى الآن على تفوقهم فيها تفوقاً عظيماً وهذا ما حدا بالحلفاء على بذل اقصى جهدهم في الاكثار منها بعد الذي عرف واشتهر ان الالمان لم يكسبوا معركة الاّ بها

واما المدافع ولاسيما الضخمة منها فقد اخذ الالمان اعدادهم بها على غرة . وكانت اولى المفاجآت في لياج ثم نامور وموباج وجيفه وانفرس وبرزميسل . وكانت انفرس تحسب الثانية في موانع الدنيا الحصينة فلم تثبت على مدافع الالمان سوى اسبوع . وقد اختلف في عيار المدفع الذي استخدموهُ لتهديم تلك الحصون فظنّ في بادىء الامر انهم استخدموا لذلك مدافع كروب التي من عيار ٤٢ سنتمتراً (١٦ ½ بوصة) وحدها دون غيرها . وقد جاء في الجزء الاول من تاريخ الحرب العظمى الذي تنشرهُ ما يأتي :

« وهذه المدافع ذات حجم كبير جدًّا وقد روت الصحف الالمانية ان معامل كروب صنعت سرًّا مدافع قطر فوهة الواحد منها ١٧ بوصة وان الجيش يستخدمها في الحرب الحاضرة ولا يعلم هل هذه الرواية صحيحة او غير صحيحة . وكلّ ما يعلم ان قطر القنبلة التي تقذفها المدافع قيس فوجد انهُ ١١ بوصة . فمدافع مثل هذه تستطيع أن تهدم حصونًا منيعة مثل حصون لياج بسهولة ولا تصلها مدافع الحصون »

وقد قالت السينتفك اميركان ان هذه المدافع موجودة عند الالمان و يظهر انها استعملت في لياج وانفرس ولو لم يرَها احد . وانما سمعنا بمدفع واحد منها اسمهُ « برتا الكبيرة » . وقواعدها مركبة في السمنت المسلّح فلا يمكن نصلها عنهُ الاّ بنسفهِ نسفًا وهذا يقلّل قيمتها الهجومية . وقد سبكت مدافع من عيارها في انكلترا ومصانع سكودا في النمسا للبوارج والحصون السواحل . والجديد فيها هو تمكّن الالمان من نقلها من مكان الى مكان وشدة فتك قنابلها فانها لا تنفجر الاّ بعد ما تخترق دروع الحصون . و يقال انهُ يقوم على خدمة كل واحد منها نحو مئتي جندي و يقتضي لتثبيته في مكانهِ ست ساعات

على انهُ عرف الآن ان الالمان لم يقتصروا على مدافع كروب في تهديم الحصون المتقدم ذكرها بل استعانوا عليها بمدافع سكودا الثمسوية من عيار ٣٠ ½ سنتيمتر (١٢ بوصة) .

وقد فعلت هذه المدافع بتلك الحصون ما لم تفعلهُ المدافع الروسية والفرنسوية واليابانية مجتمعة بحصون برزميسل . وكانت تصب اهدافها على غاية الاحكام والدقة حتى ان بعضها خرق درع مدفع في احد حصون انفرس عن بعد ١٢ كيلو متراً ولم يكن رجالهُ يرون الحصن بل استدلوا على مركزهِ من خريطة كانت بين ايديهم . وقد اهدى امبراطور المانيا هذه الدرع وجزءاً من القنبلة فيها الى متحف الجيش النمسوي في فينا

وقد صنعت معامل سكودا اول مدفع من مدافعها هذه سنة ١٩١٠ واختبرتهُ لاول مرة في ميدان التجربة فجاء وافياً بالمرام . وهو يطلق قنبلة ثقلها ٨٦ رطلاً بسرعة ١١١٥ قدماً في الثانية او ما يقارب سرعة الصوت في الهواء . واذا اطلق قنبلتهُ ارتدَّ الى الوراء ثم عاد الى مركزهِ الاول بضغط الهواء . وتقاوم ارتدادهُ مواسك (فرملات) مائية فوق المدفع ثم يعود الى مكانهِ الاصلي بواسطة مكبس هوائي تحتهُ . ومعظم مداهُ الافقي ١٢ كيلو متراً

وقد اطلق بعض هذه المدافع ٤٠٠٠ مرة في الحرب الحاضرة ولا يزال يصلح للعمل . وفي معامل سكودا مدفع للتجربة اطلق ٦٠٠ مرة فلم يختل مرماهُ اختلالاً يشعر بهِ اما قنبلتهُ فتملأ مادة سريعة الانفجار وفيها جهاز يمنع الكبسولة من الانطلاق قبلما تفرز القنبلة وتمس في الهدف الذي تصيبهُ . ويحمل المدفع على ثلاثة موطرات واحد يحمل المدفع نفسهُ وثانٍ يحمل قاعدتهُ وثالث يحمل الاساس الذي يركزان عليهِ . واعظم سرعة تسير الموطرات بها ٢٠ كيلو متراً في الساعة

ويتم تركيب المدفع وتركيزهُ في مكانهِ عادة في ٤٠ دقيقة ويمكن اتمام ذلك في ٢٤ دقيقة اذا اقتضى الامر كذلك يمكن اطلاق طلقة واحدة منهُ كل دقيقة

وقد استعمل في الميدان فجاء بنتائج غريبة . ففي بولندا فتكت قنبلة منهُ ببطرية كاملة وبعدد كبير من المشاة . والذين لم يقتلوا بشظايا القنبلة قتلوا بشدة ضغط الهواء وبالاختناق بالغازات الخانقة المتصاعدة عن انفجار القنبلة وذلك في دائرة قطرها ٣٠٠ متر حول محل سقوطها . واستخدم في غليشيا وجبال كرباثيا مدفع من مدافع سكودا من عيار ٤٢ سنتمتراً (١٦ ½ بوصة) . وهذا المدفع اضخم من الاول واصعب مراساً في نقلهِ من مكان الى مكان

ومدى مدافع سكودا التي من عيار ١٢ بوصة ١٢ كيلو متراً فاذا اريد اقتحام مدفع منها وجب على من يريد ذلك ان يمشي ساعتين قبل الوصول اليهِ . وهذا الوقت يكفي لفك المدفع وتحميلهِ والهرب بهِ

ولكن مهما كانت المدافع البرية قوية فقوتها لا تماثل قوة المدافع البحرية الكبيرة كمدافع

البارجة كوين اليزابث (اي الملكة اليصابات) الانكليزية التي قطر فوهة الواحد منها ١٥ بوصة ومدافع البارجة كليفورنيا الاميركية التي قطر فوهة الواحد منها ١٤ بوصة والبارجة فوسو اليابانية التي قطر فوهة الواحد منها ١٤ بوصة والبارجة تورثيل الفرنسوية التي قطر فوهة الواحد منها ١٣ ½ بوصة فالمدفع من مدافع كوين اليزابث طوله ٥٦ ½ قدم وثقل قنبلته ١٩٢٥ رطلاً وسرعتها ٢٥٠٠ قدم في الثانية من الزمان . وفي هذه البارجة ٨ مدافع من هذا الحجم . واصغر هذه المدافع وهو المدفع الفرنسوي من مدافع البارجة تورثيل قطر فوهته ١٣ ½ بوصة وطوله ٥٠ ½ القدم وثقل قنبلته ١٣٣٢ رطلاً وسرعتها ٢٦٧٥ قدماً في الثانية من الزمان . وفي هذه البارجة ١٦ مدفعاً من هذا الحجم

ومدافع مثل هذه لا تقاس بها المدافع النمسوية الكبيرة ولا الالمانية لان ما يكسبهُ المدفع الالماني بسعته يخسر اضعاف اضعافهِ بقصر انبوبته . فان قنبلة المدفع الانكليزي زنتها ١٩٢٥ رطلاً وسرعتها ٢٥٠٠ قدم في الثانية وزنة القنبلة من المدفع النمسوي ٨٦٠ رطلاً وسرعتها ١١١٥ قدماً في الثانية فالفرق شاسع بين قوة القنبلتين . ولو كان في الامكان ان تنقل هذه المدافع المجرية الى البر وتدنى من الحصون المنيعة كحصون لياج ونامور وتطلق عليها لكان فعلها بها اشد من فعل المدافع الالمانية والنمسوية . ولكن ليس في الامكان نقل مدفع طولهُ سبعة عشر متراً في البر مع ما يلزم لهُ من الآلات والادوات لتحريكهِ وتسديدهِ . وقد حسب بعضهم قوة المدافع في البوارج الانكليزية كلها نوجدانها تساوي قوة كل البنادق والمدافع التي تكون مع جيوش عددها خمسة عشر مليوناً

وما تقدّم عن تفوّق المدافع البحرية لا ينفي ان النمسويين والالمان فاقوا غيرهم في اعداد المدافع البرية الضخمة التي تسف امنع الحصون وفي انهم تمكنوا من نقلها بسهولة من مكان الى آخر واكتشفوا طريقة لجعلها ترجع الى وضعها من نفسها بعد ما ترتد بانطلاقها ولولاها ما امكنهم فتح حصون البلجيك المنيعة والبلوغ الى فرنسا . ولو علم الانكليز والفرنسويون والروس قبل نشوب الحرب ان عند النمسويين والالمان مثل هذه المدافع وعرفوا قوتها لكان لهم شأن آخر معهم . ومن المحتمل انهم كانوا قد وجدوا سبيلاً لتأجيل الحرب او لابطالها

رأس المانيا المنتفخ[1]

هذا عنوان كتاب ألّفهُ الدكتور اميل ريخ سنة ١٩٠٧ وكان لهُ وقع عظيم في بلاط الملك ادورد السابع وفي الدوائر الخاصة ايضاً في انكلترا ولكن جمهور الشعب الانكليزي لم يعرهُ الانتباه اللازم الاَّ بعد وقوع الحرب الحالية فتهافت على قراءتهِ حتى اعيد طبعهُ ثماني مرات قبل انتهاء سنة ١٩١٤ . والمؤلف مجري تلقى العلوم في جامعات ڤينا و بودابست و براغ ودرس اخلاق الشعب الالماني درساً دقيقاً ثم استوطن انكلترا بضع سنوات الَّف في خلالها الكتاب الذي نحن في صدده واوضح فيهِ مطامع المانيا واستعدادها الحربي وما يريي اليهِ امبراطورها من بسط سيادتهِ على المسكونة . الاَّ ان ما ذهب اليهِ المؤلف من وجوب زيادة الجيش الانكليزي لقاء استعداد المانيا الحربي لم يرضِ الامة الانكليزية التي كانت ترى ان الاسطول كافٍ لدفع كل خطر عن البلاد وانهُ يستحيل ان يضمر امبراطور المانيا وشعبهُ العداء لهم . وقد كان رأي المؤلف هذا سبباً من الاسباب التي جعلت الشعب الانكليزي يعرض عن كتابهِ في ذلك الحين

والكتاب مقدمات ونتائج اما المقدمات فمدارها على حالة الشعب الالماني العقلية والمادية والنتائج عمَّا نتج عن هذه الحالة من المطامع والاستعداد الحربي والمالي والسياسي التي ادَّت اخيراً الى هذه الحرب المشومة

فبروسيا (وهي اكبر الممالك الالمانية وقائدتها سياسيًّا وحربيًّا) مملكة حديثة النعمة نسبة الى سائر ممالك اوربا . اهتدى اهلها الى الدين المسيحي منذ نحو ستمائة سنة وكانوا يتكلمون لغة سلافية . وظلت بروسيا خاضعة لملوك بولونيا الى اواخر القرن السادس عشر وقد اجتاحها الفاتحون من المجر و بولونيا واسوج وفرنسا والف امراؤها الاستعطاء من ملوك اوربا ووزرائها . ولم تكن احوالها القومية بافضل من احوالها السياسية فاهلها اكثر الشعوب الاوربية مهاجرة فنهم ملايين عديدة منتشرون في سائر ممالك اوربا وفي اميركا طلباً للرزق . وقد اثَّر فيهم الذل الذي قاسوهُ كل هذه القرون فلما انشأوا الوحدة الالمانية سنة ١٨٧١ ونظموا امورهم هبُّوا هبة واحدة ليمحوا عار الماضي كما يفعل حديث النعمة الذي يبذل جهدهُ لينسي الناس ايام فقرهِ . حتى انهُ لما ذهب نابوليون الثالث في الاسر التي رتكه المؤرخ الالماني (الذي فضح

(1) Germany's Swelled Head, by Dr. Emil Reich.

عيوب مواطنيهِ) وقال لهُ « مَن تحارب المانيا الآن بعد ان اسرت الامبراطور » . فاجابهُ رنكه « انها تحارب لويس الرابع عشر » . اي انها تأخذ بثارها مما فعلهُ بها ذلك الملك الجبار قبل تلك الحرب باكثر من مئة وخمسين سنة

ولما رأى الالمان انهم توفقوا الى تأسيس الوحدة الالمانية بعد انتصاراتهم الباهرة على الدنمارك والنمسا وفرنسا وان تجارتهم وصناعتهم في ارتقاء داخلهم الغرور والطمع فادعوا انهم شعب الله الخاص وان اعداءهم اعداؤهُ وقامت بينهم زمرة من الكتاب والمؤرخين لم يتركوا سبيلاً الاَّ طرقوهُ لاثبات هذه الدعوى حتى يخيل لمن يقرأ كتاباتهم ان الشعب الالماني خلق من طينة غير الطينة التي خُلق منها سائر البشر وان الباري خلقهُ رحمة بالعالمين وسيهبهُ المكونة يتمتع بها ويسود اهلها ويكون لهُ القول الفصل والسلطة العليا حتى يرث الله الارض وما عليها

ولا بأس من ايراد بعض الشواهد على ما تقدم من اقوال امبراطورهم وكبار قوادهم ومؤرخيهم واساتذتهم . ومما يذكر في هذا الصدد ان كثيرين من غير الالمان ادَّعوا دعاوي باطلة مثل هذه ونسبوا الى مواطنيهم صفات لم تكن فيهم فكان مواطنوهم يقرأون اقوالهم ويرمون بها عرض الحائط اما في المانيا فالامر على ضد ذلك فان مثل هذه الدعاوي الطويلة العريضة تجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية حتى تشبَّع منها الشعب الالماني وصارت عقيدة من عقائده

الَّف ولتمن كتاباً عن الالمان والنهضة الايطالية في القرن السادس عشر ادعى فيهِ ان جميع المصورين والنحاتين الذين اشتهروا في ايطاليا كميكل انجلو ورفائيل ولناردو ده ڤنشي وبلبني وغيرهم كانوا من اصل الماني مستنتجاً ذلك من هيئتهم واسمائهم واسماء المدن التي ولدوا فيها (بعد تحريفها حتى صارت تشبه الاسماء الالمانية)

والف الاستاذ دانيال مدرس الجغرافية في مدرسة هال (Halle) الملكية كتاباً في الجغرافية (اعيد طبعهُ مئتين وخمساً وستين مرة حتى سنة ١٩١١) ذكر فيهِ ان فرنسا كانت اصلاً مملكة صغيرة من بقايا امبراطورية شارلمان ثم امتدت شرقاً مغتصبة الاملاك الالمانية التي في جوارها . ومما جاء في هذا الكتاب ان ليون ومرسيليا كانتا في العصور الوسطى مدينتين المانيتين

وقال الاستاذ تريتشكي « لمن ستكون السيادة في العالم ؟ اليس لالمانيا حامية السلم . فان روسيا الضخمة لا تزال في دور التكوّن ومواضع الضعف فيها كثيرة واحوالها الاقتصادية ومشاغلها الداخلية قد الهتها عن كل شيء آخر . وانكلترا اضعف مما يظن لاول وهلة ومستعمراتها ستنفصل عنها في المستقبل . وفرنسا تتنازعها اختلافات الاحزاب . وايطاليا

ستعطي عملاً يساعدها على اطعام اولادها القوت الضروري . فالمستقبل لالمانيا وعلى الخصوص ان تتحد بها اذا ارادت ان تبقى في عالم الوجود »

وقال المارشال فندر غولتز (باشا) « علينا ان نقنع انفسنا ونقنع الجيل الذي تولينا تعليمهُ ان وقت الراحة لم يأتِ بعدُ ولا بدَّ من تنازع عظيم يتوقف عليهِ قيام المانيا او سقوطها وسيكون هذا التنازع عظيماً جدًّا مثل كل تنازع يقع بين الشعوب المختلفة وسيكون ايضاً مقدمة لتغييرات سياسية مهمة »

وقال الجنرال ثون برنهاردي (مؤلف كتاب « المانيا والحرب القادمة » الذي ذاع صيتهُ في الخافقين) في خطاب القاهُ امام جمعية برلين في ٢٣ يناير سنة ١٩٠٥ « انهُ رغماً عن المعاهدات ومؤتمرات السلام فان المشكلات العظيمة لا تحل إلاَّ بالسيف »

ومما جاء في كتابات هذا القائد ما يأتي

« ان الشعب الالماني اعظم شعب متمدن ذكر في التاريخ »

« ان الجنس البشري مديون بتقدمهِ للشعب الالماني »

« الحرب هي العامل الوحيد الذي يغلّب التقدُّم على التأخر »

« الحرب واجب ادبي وعامل من عوامل التمدن لا غنى عنهُ »

« كل مسعى يسعاهُ الناس لابطال الحرب جهالة ومخالفة للاداب وامرٌ غير لائق بالجنس البشري »

« يلزم محق فرنسا حتى لا نقف امامنا مرة اخرى »

« ان الاتفاق السلمي مع انكلترا امرٌ وهمي لا يليق بالسياسة الالمان اتباعهُ »

« علينا ان نحارب الحرب القادمة لحماية مصالحنا ومصالح العالم اجمع ولكن شعارنا السيادة على العالم او السقوط »

اما القول وليم الثاني امبراطور المانيا فقد اصبحت اشهر من ان تذكر ولاسيما وان جرائد العالم تناقلتها وقتما قالها . وهاك بعضها

« ربما يُطلب منكم اطلاق النار على والدكم واخوتكم فبرهنوا حينئذٍ اخلاصكم بتضحية حاسياتكم » (من خطاب القاهُ على انفار القرعة في بوتسدام يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩١)

« لتكن لكم كلكم ارادة واحدة وهي ارادتي وشريعة واحدة وهي شريعتي »

« يجب ان لا يبث امرٌ في العالم بدون رضى امبراطور المانيا والشعب الالماني » (من خطاب القاهُ وقت الاحتفال بمرور مئتي سنة على تأسيس مملكة بروسيا)

« الشعب الالماني ملح الارض »

« قد امتدت لفتنا الى ما وراء البحار وعلومنا ومباحثنا ارتقت جداً وكل اكتشاف جديد ورأي علمي امتحانهُ نحن اولاً ثم اقتبسهُ باقي الشعوب منا »

« سيكون الشعب الالماني الصخرة الصماء التي يبني الله عليها عملهُ في تمدين العالم . وحينئذٍ تتم نبوة الشاعر بان اخلاق الشعب الالماني هي التي ستحسن حال المسكونة »

وواضح مما تقدم ان الالمان يعتبرون انفسهم افضل خلق الله وان جميع المشاهير كانوا منهم وانهم لا ينالون حقهم الا متى سادوا على العالم اجمع وصاروا الكل في الكل . اما من حيث الوسائل التي يمكن التوصل بها الى بلوغ غايتهم فقد اعلنوا جهاراً باقوالهم وافعالهم ان كل الوسائل مباحة لهم وان الحق للقوة . وقد اوردنا بعض اقوال فون برنهاردي من جهة الحرب ولزومها وكتابهُ معلوم مثل هذه الاقوال حتى يخيل لمن يقرأهُ انهُ ليس في الدنيا شريعة غير شريعة السيف وان خرق القوانين مباح للوصول الى الغرض المطلوب . وافضل شاهد على افعالهم التي من هذا القبيل ما ورد في مذكرات البرنس بسمارك (الصحيفة ٩٥ — ١٠٠ من الترجمة الانكليزية) بشأن اعلان فرنسا الحرب على بروسيا سنة ١٨٧٠[1] حيث قال

« كنت قد عزمت على الاستقالة (لان جد الامبراطور الحالي لم يوافقهُ على محاربة فرنسا) رغماً عن محاولة "رون" اقناعي بالعدول عن عزمي هذا . دعوت رون ومولتكي ذات يوم الى الغداء معي وبينما نحن على المائدة اتاني تلغراف عن مقابلة سفير فرنسا للملك في ايمس ولما كان جلالتهُ قد اذن لي في نشر خبر هذه المقابلة سألت مولتكي اولاً عن حالة الجيش فاجابني انهُ اذا كان لا بد من الحرب فالاجدر بنا عدم التأخر . فحذفت بعض الكلمات من التلغراف ولكنني لم ازد عليهِ ولم اغيّر شيئاً فيهِ وقرأتهُ ثانية على ضيفيّ فقالا ان معناهُ قد تغير تماماً فبعد ان كان خبر محادثة اعتيادية صار تحدّياً وتهرشاً (A flourish and a challenge)

---

(١) حكاية هذه الحرب ان خلا عرش اسبانيا فطلب الاسبان الى احد امراء عائلة هوهنزولرن ان يملك عليهم فلم يرُق ذلك لفرنسا لانهُ يحيطها مهددة من الشرق ومن الجنوب الغربي ولذا امر نابوليون الثالث سفيرهُ في برلين ان يطلب الى ملك بروسيا ان لا يسمح لامير المانيا ان يتبوأ عرش اسبانيا لا في الحال ولا في الاستقبال . وبما ان سفير فرنسا كلم ملك بروسيا بذلك وهو يتنزه في منتزه ايمس العمومي فامتعض الملك من مكالمة السفير اياهُ بهذا الشأن وقت التنزه واشار عليهِ ان تكون المخابرة بواسطة وزيره (بسمارك) وارسل تلغرافاً الى بسمارك بذلك . فغير بسمارك التلغراف بطريقة فهم منها ان الملك اهان السفير ونشرهُ في اوربا فلما بلغ الخبر فرنسا فاست وقعدت واعلنت الحرب على بروسيا وقال بسمارك مرادهُ لانهُ كان يبحث عن طريقة يحمل فرنسا بها على اعلان الحرب لتكون هي البادئة بالعدوان

فافهمتهم اني اذا ابلغت هذا التلغراف الى الجرائد والى السفراء يصل الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تأثيره هناك كتأثير الرداء الاحمر في الثور » (وقت مبارزة الثيران)

اما وصف الاستعدادات الهائلة التي قام بها الالمان في الاربعين سنة الماضية للوصول الى بسط سيادتهم على العالم اجمع فما يطول شرحهُ اذ لم تبقَ بلاد من بلاد الله الأَّ وارسلوا اليها دعاتهم وساستهم وتجارهم وجنودهم ناهيك عن اسطولهم الضخم وجيشهم العرمرم الذي بلغ من الانتظام مبلغاً لم يبلغهُ جيش آخر . فتجارتهم في البرازيل وبوليفيا وغيرهما من بلدان اميركا الجنوبية ازدادت زيادة عظيمة جدًّا . قال شمولر (وهو اقتصادي سياسي) « علينا ان ننظم في جنوبي البرازيل مستعمرة يكون عدد سكانها عشرين او ثلاثين مليوناً من الالمان » وقال ايضاً سنة ١٩٠١ « ان المانيا تستولي شيئاً فشيئاً على تجارة بوليفيا (غربي البرازيل) ومتى استولت عليها كلها كان لنا هناك مستعمرة كسبناها بغير حرب وبلا خسارة »

ثم ان عدد الالمان الذين في الولايات المتحدة الاميركية مع اولادهم يبلغ على سبعة ملايين . ولما كانت المانيا عاجزة عن اخضاع هذه الجمهورية العظيمة ترى كتّاب الالمان قد غيروا لهجتهم نحوها عمَّا هي نحو بقية الشعوب فاشاروا على حكومتهم وحكومة الولايات المتحدة ان تحالفا معاً فتكون نتيجة هذا التحالف ان اساطيلها تفوق اساطيل انكلترا ويكون لها جيش يمكنها من الاستيلاء على البلدان البعيدة

ومن استعدادات المانيا ما حصلت عليهِ من الامتيازات في المملكة العثمانية واهمها سكة حديد بغداد وهي تبتدئ في الاستانة وتخترق المملكة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وطولها الفان وار بعمائة كيلو متر وللشركة صاحبة الامتياز كل ما تجدهُ من المعادن والمنافع في منطقة عرضها عشرون كيلو متراً على جانبي الخط (اي عشرة كيلو مترات من كل جهة) فاذا ضربنا عرض هذه المنطقة (٢٠ كيلو متراً) في طولها (٢٤٠٠ كيلو متراً) كان الحاصل ثمانية وار بعين الف كيلو متر او اثني عشر مليوناً من الافدنة (اي نحو مضاعف مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري) . وما سكة حديد بغداد الأَّ واسطة للوصول الى خليج العجم والزحف منهُ على الهند . ولم تنسَ المانيا ايران ولا الصين فقد سعت في مد تجارتها في الاولى واخذت كياوتشاو في الثانية قاعدة لاعمالها في تلك الاصقاع البعيدة

وقد اورد الدكتور ايل ريج بعض الارقام لايضاح تقدم تجارة المانيا . فقد كانت قيمة وارداتها سنة ١٨٩٤ نحو ٢٠٦,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وبلغت ٣٩٢ مليوناً سنة ١٩٠٦ اي انها تضاعفت تقريباً في ١٢ سنة وكانت قيمة صادراتها سنة ١٨٩٤ نحو ١٦٦ مليوناً من

الجنيهات فبلغت ٣٠٦ ملايين سنة ١٩٠٦ اي انها تضاعفت تقريباً . وقد اوضح المؤلف ان ما ترمي اليه المانيا حقيقة هو الحصول على مستعمرات انكلترا اذ انها معها اخذت من الاملاك من جارتيها فرنسا وروسيا فلا تكفي لاسكان الزيادة السنوية في سكانها

وبعد ان وصف المؤلف قوة المانيا الادبية والمادية افرد فصلاً لعوامل الضعف في بروسيا . واول ما ذكرهُ من هذه العوامل هو ان بروسيا سريعة العطب . فاذا كانت منتصرة تقدمت تقدماً سريعاً واذا خانتها الايام لم تقوَ على المصائب والملمات بل تسقط حالاً . واستشهد على ذلك بتاريخ بروسيا في اواخر القرن الثامن عشر اي بعد وفاة فريدريك الكبير بعشرين سنة فان هذا الملك جعل مملكتهُ في درجة سامية من المنعة ثم ضربها نابوليون الاول سنة ١٨٠٦ ضربة شديدة فتحطمت كاناء من خزف وصارت حاميات المدن الحصينة تسلم لفرق صغيرة من الفرسان الفرنساويين

هذا والنظام الالماني المحكم الذي ذاع صيتهُ قد يفيد في الاعمال العظيمة ولكنهُ لا يربي رجالاً . ويخطئ من يظن انهُ نبغ من المانيا قواد عظام بعد فريدريك الكبير . فالجيش المنظم اشبه بمعجم رتبت فيهِ الكلمات ترتيباً منظماً غير ان ترتيب الكلمات شيء والانشاء شيء آخر وكذلك الجيش فان نظامهُ لا يكفي ما لم يكن فيهِ قائد عظيم يحيا بهِ ذلك النظام . فاشهر الشعوب هو الشعب الذي نبغ بافرادهِ لا بنظاماتهِ والرومان اصدق شاهد على ذلك

وزبدة القول انهُ اذا انتصر الجيش الالماني في حرب ما كما في سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ (وكان السبب الاكبر لانتصارهِ حينئذٍ ضعف الجيش الفرنساوي) تمَّ لهُ ما يريد اما اذا اعترضتهُ مصاعب لم تكن في الحسبان غُلب على امرهِ ولم يجد لمشاكل حلاً لان الضابط الالماني مضطر الى اطاعة الاوامر التي لؤمر بها طاعة عمياء ولم تخول لهُ الحرية في العمل وهذه الحرية لا بد منها لشحذ القريحة واعمال الحيلة لاكتشاف طرق جديدة للوصول الى الغرض المقصود . والاعتقاد الشائع ان الجيش الالماني لا يقهر اعتقاد باطل فان الالمان لم يدخلوا حرباً منذ سنة ١٨٧١ وزد على ذلك ان المغالاة في وضع نظام دقيق للجيش يجعل نبوغ قواد عظام مستحيلاً

ومن جملة عوامل الضعف في المانيا اخذ الحكومة على نفسها الاهتمام بكل امر كبيراً كان او صغيراً حتى لم يبقَ للافراد ما يعملونهُ . وقد يفيد هذا النظام في اوقات السلم ولكن اذا حدثت حرب دارت فيها الدائرة على الحكومة سقطت كل هذه النظامات لانهُ لا يوجد بين افراد الالمان من لهُ السلطة الكافية لمداومة العمل . وعليهِ فالنظام الالماني قد ساعد نمو

الامبراطورية كثيراً في ايام الصحو ولكن اذا عصفت الزوابع وهطلت الامطار فهناك الطامة الكبرى . وبضدها تتبين الاشياء فنظام انكلترا على الضد من نظام المانيا تماماً فان كثيرين من ذوي السلطة فيها خارجون عن هيئة الحكومة ولذا فانها اكثر مقاومة واحتمالاً لخطوب الزمان من المانيا . فبينما نرى النصر لازماً لالمانيا والا رزحت تحت اثقال المصائب نرى انكلترا تزيد قوة وصبراً اذا ازدادت متاعبها ومشاكلها

ثم افرد المؤلف فصلاً خصوصيًّا (وهو الفصل الاخير في الكتاب) لما يستنتج من « المقدمات والنتائج » التي ذكرها وهو انهُ يجب على الامة الانكليزية ان لا تكتفي باعداد الاسطول بل ان تنظم جيشاً بريًّا كافياً لمنازلة العدو لان طموح المانيا الى الاستعمار وتأليف امبراطورية عظيمة خارج اوربا سيضطرها يوماً الى حرب عظيمة . ولم استعد الانكليز في ذلك الوقت كما اشار عليهم مؤلف هذا الكتاب لما طالت مدة الحرب الحالية الى الآن

ب . ن

لماذا ينبغي على اميركا ان تنضم الى الحلفاء

بقلم المستر روزفلت رئيس اميركا السابق

قال الجنرال شرمن « الحرب جهنم » . وما حدث الآن في اوربا ولاسيما في بلجكا يؤيد هذا القول . ولا تبطل الحرب الا اذا عُمِل بالاسلوب الذي اقترحتهُ وهو ان ترتبط الدول المتمدنة القادرة على الحرب وعلى السلم ارتباطاً مدارهُ حفظ السلم في الدنيا . اي تتعهد بحفظ ما لكل دولة منها من الحقوق التي لا ينازَع فيها وبان كل خلاف يقع بينها يُعرَض على محكمة تحكيم لتفصل فيهِ وبانها تحارب كل دولة تعتدي على غيرها او لا تخضع لحكم هذه المحكمة في المسائل التي يجوز التحكيم فيها

ومفاد ذلك ان تحالف الدول كلها على تأييد السلم العاري عن الحَيْف الذي يحفظ لكل شعب بلادهُ وشرفهُ ومصالحهُ الحيويَّة ويضمنها لهُ ويستثنيها من الدخول في حكم محكمة التحكيم . وهذا التحالف لا يضمن اموراً يستحيل ضمانها ولا بعد وعوداً يتعذر او لا يحل القيام بها . لانهُ لا يجوز لدولة ان ترتبط بعهد الا اذا كانت واثقة انها قادرة على القيام بهِ

واخيراً وهو الاهم يجب ان يكون هذا التحالف مشمولاً بالقوة اي ينبغي ان يضمن تنفيذ ما يتعهد بهِ المتضامنون ولو استلزم ذلك استعمال القوة فتضمن الدول المتحدة حقوق كل دولة منها ودفع الاعتداء عنها وتنفيذ احكام محكمة التحكيم

وما اشرت بهِ ينفي التحكيم في المسائل الحيوية التي لا يجوز التحكيم فيها. فاذا اعتدى انسان على آخر واصابهُ باذًى في جسمهِ او مالهِ او راحتهِ قبض رجال الشرطة (البوليس) على المعتدي وسلموهُ للقضاء حتى يعاقبهُ عقاب المجرمين. ولا يُفصَل بينهُ وبين المعتدَى عليهِ بالتحكيم. واذا حضر المعتدى عليهِ مجلس القضاء فانما يحضر كشاهد فقط

واذا هجم رجل على آخر في احد شوارع المدينة وضربهُ او خطف ساعتهُ ولم يكن احد من رجال الشرطة (البوليس) حاضراً فعلى المعتدى عليهِ ان يقبض على الجاني ويوقع بهِ والاَّ فهو يفرِّط في حقوقهِ الشخصية واذا وجد رجل من رجال الشرطة فعليهِ ان يقبض على الجاني ويسلمهُ للقضاء والقاضي لا يقف حينئذٍ موقف الحكم في امر الاعتداء وملكية الساعة بل يردُّ الساعة الى صاحبها ويحكم على الخاطف او المعتدي بما يستحقهُ من العقاب

فشل مؤتمرات السلم

واذا استثنينا اتفاق مؤتمر الهاي فقد فشلت كل مؤتمرات السلم التي عُقدت حتى الآن. وكل ما تلي فيها من الخطب وكل ما اقرَّهُ اعضاؤها من القرارات ذهب سدًى او اضرَّ اكثر مما نفع لانها هي التي اغرت الدول المحبة للحرية حتى افرطت في الاطمئنان ولم تتخذ عدتها لوقاية نفسها. فضرر تلك المؤتمرات واضح من هذا القبيل كما يظهر من الحرب الحاضرة. اما اتفاق مؤتمر الهاي فقد افاد بعض الفائدة في انهُ سهَّل على الدول التي تكره الحرب فصل ما يقع بينها من الخصومات في بعض الامور فانهُ كثيراً ما يقع خلاف بين الدول في امور طفيفة كما اذا اعتدى احد من رعايا الدولة الواحدة على سفينة صيد لاحد رعايا الدولة الاخرى او اذا اختلفت الدولتان في تفسير بند ثانوي من بنود معاهدة بينهما او اذا عمل موظف من موظفي احداهما في ساعة طيش وحدَّة عملاً اضرَّ بآخر من رجال الدولة الاخرى ففي هذه الاحوال تكره الدولتان فصل هذا الخلاف بالحرب فتلجآن الى محكمة التحكيم في الهاي فتفصل بينهما

واقتصار محكمة الهاي على ما تقدم يسفِّه آراء الذين حسبوا انها تفعل المستحيلات. اما انا فلم يخطر ببالي قط انها تفعل ذلك ولكنني كنت اؤمل منها اكثر مما رأيت لانني وثقت بالوعود. ولكن الوعد شيء والقيام بهِ شيء آخر كما ثبت الآن في امر البلجيك فان الولايات المتحدة وقَّعت (امضت) اتفاق مؤتمر الهاي لما كنت رئيساً لها. وكل الدول المشتبكة الآن في هذه الحرب وقعتهُ ايضاً فاصبحت كل واحدة منهنَّ مقيدة بان تضمن لغيرها كل الحقوق التي يشملها ذلك الاتفاق لكن الضمان لا ينفع الاَّ اذا وُجد من يؤيد الاتفاق وينفذهُ بالقوة في وجه كل دولة تنقضهُ سواء كانت من الموقِّعات (الممضيات) لهُ او من غير الموقعات لان

امتناع دولة عن توقيعه لا يجعلها في حلٍّ من انتهاك حرمة غيرها والاَّ صار عدم توقيع المعاهدات مزية من اكبر المزايا

ولقد وافقت بما كان لي من السلطة على توقيع الولايات المتحدة لذلك الاتفاق وهو يحرّم انتهاك حرمة البلاد المحايدة وبالضرورة يحرّم الاستيلاء على الامم المحايدة التي لم تبادئ بالعدوان كما استولى الالمان على بلجكا. ويحرّم تخريب مثل لوفان وديننان ونحوهما من مدن بلجكا وحرق مكاتبها العمومية وما فيها من الكنائس والمعاهد ويحرّم تغريم السكان بغرامات مالية فادحة وايقاع العقاب الصارم بهم. ويحرّم اطلاق المدافع والقاء القنابل على المدن غير الحصينة وعلى المدن الحصينة قبلما تهاجم حصونها

كل هذه المحرّمات ارتكبتها المانيا. وانا لما أُمرتُ بتوقيع ذلك الاتفاق أُمرت وانا واثق ان الولايات المتحدة تقوم بعهدها وتدافع عن اسمها وان الشعب الاميركي يفهم ما معنى القيام بالعهد والدفاع عن الاسم في هذا الامر كما في غيره من الامور الخطيرة التي تقتضي ان يكون الانسان مستعدًّا ليبذل جهده في الدفاع عمَّا تعهَّد به ويتحمل ما يتعرَّض له من الخطر

ولو خطر ببالي ان توقيع اتفاق المهاي لا يعني سوى اظهار بعض الرغائب وان كل دولة تستطيع ان تنقض ذلك الاتفاق حسبما تقتضي مصالحها ولا خوف عليها ولا هي تحزن — لو خطر ببالي ذلك لما سمحت بان تشترك الولايات المتحدة في عمل قبيح مثل هذا

سياسة الجبن

يرى الرئيس ولسن والوزير بريان انهُ اذا تعهدت الولايات المتحدة بحفظ الممالك الصغيرة من اعتداء الممالك الكبيرة تعهدها لا يوجب عليها ان تضمن تنفيذهُ. وعندهما انهُ اذا طُلب منا ان ننفذ بالفعل ما تعهدنا به بالقول صرنا في حلٍّ من تنفيذهِ وحقَّ لنا ان نحفظ بانفسنا ونقف وقفة الجبان الرعديد لنظر افجع الفظائع والموبقات تُرتكب في بلاد لم تبادئ احداً بالعدوان

هذه هي سياسة الجُبْن والخنوع وجريُ الرئيس ولسن والمستر بريان عليها ليس لهُ كبير شأن لو اقتصر الامر عليها ولكن عملها هذا ينسب الى الولايات المتحدة كلها ويُحسَب عليها

ولقد حاول الرئيس ولسن والوزير بريان ان يبررا عملها في اتباعها هذه السياسة سياسة الجبن وترك الواجب من حيث الاحتفاظ بالسلم المبني على الحق والعدل بادلَّة سفسطية لا يقبلها احد من الذين يؤيدون السلم الحقيقي بالاخلاص ولو كلفهم معها كلفهم لاسيما وان

السلم الحقيقي لا يؤيَّد الاَّ بالهمة والبسالة . ولذلك فالذين يعدُّون انفسهم من رسُل السلام وينادون به اذا كان نداؤهم لا يكلفهم شيئًا قد صاروا الآن مضغة في الافواه بسكوتهم او بمدحهم المستر ولسن والمستر بريان لانهما تخليا عن المطالبة بحقوق السلم وايَّدهم في ذلك كل الذين يقولون انهُ لا يعنينا الاَّ امر انفسنا وانهُ لا يحق لنا ان نتحمَّل اقل تعب في القيام بما يجب علينا لغيرنا . وهذه الاثرة قد تجوز ولكن اذا قصدت امَّة من الامم ان تجري هذا المجرى فعليها ان لا ترتبط بعهد لاحد

والقول بان اتفاق الهاي لا يوجب علينا العمل منقوض لدى كل من ينظر الى المسألة بعين خالية من الغرض . فان ذلك الاتفاق اما انهُ يفيد شيئًا أو لا يفيد فاذا لم يترتب على الدول التي وقَّعتهُ ان تعترض على من يخالفهُ فلا فائدة منهُ ولا معنى لهُ ويكون وضعهُ وتوقيعهُ من اسخف ضروب الحماقة . ولكن اذا كانت لهُ فائدة وكان لهُ معنًى فعلى الولايات المتحدة وهي اقوى البلدان الواقفة على الحياد او اغناها ان تعمل لتأييد هذا الاتفاق ولاسيما اذا نتج عن نقضهِ فظائع مثل فظائع البلجيك . وهذان الوجهان لا ثالث لهما

لوم الولايات المتحدة

لا يفلح اتفاق لحفظ السلم في الدنيا الاَّ اذا جرى موقعوهُ على ضد ما جرى عليهِ الرئيس ولسن والوزير بريان في اتفاق الهاي لان الاتفاق لا يفيد الاَّ اذا تعهد المتفقون على العمل بموجب اتفاقهم وعلى اجبار غيرهم على العمل بهِ ولو لم يوقعهُ معهم . وبعبارة اخرى انهُ اذا اتفقت الدول على حفظ السلم في الدنيا فاتفاقها يكون مثل اتفاق الهاي ولكن يجب على الدول التي اشتركت فيهِ ووقعتهُ كما فعلت الولايات المتحدة ان تنوي حينما توقعهُ العمل بهِ واجبار غيرها ايضًا على العمل بهِ ولو بالقوة اذا اقتضت الحال ذلك

ان انتهاك حرمة الاتفاقات الدولية ومعاهدات الحياد كما فعلت المانيا في البلجيك قبيح لذاتهِ وكبير الضرر جدًّا ولكنهُ لا يستحق من الذم والتشنيع مقدار ما يستحقهُ عمل الولايات المتحدة في وقوفها وقفة الجبان المكي لا تدافع عن اسمها ولا تؤيد العهود التي تعهدت بها ولا تحوعنها العار الذي لحقها من جراء ذلك ومن عدم تعرُّضها لمنع الحيف وهي قادرة على منعه

ويسوءني جدًّا ان اقف هذا الموقف واندد باعمال المانيا في بلجكا لان كثيرين من اصدقائي الالمان والاميركيين الذين ولدوا في المانيا او اصلهم المان قد استاؤوا من موقفي هذا اما اصدقائي الاميركيون الذين ولدوا في المانيا او اصلهم المان فاقول لهم انهم مضطرون

شرقاً ان ينظروا الى كل المسائل الدولية نظر من لا يهمهُ الاَّ مصلحة الولايات المتحدة ومجدها وشرفها بين دول الارض

واما اصدقائي من الالمان انفسهم فاقول لهم انت موقني هو في مصلحة المانيا والشعب الالماني . ولو نظر الالمان كلهم الى الامر بعين خالية من الغرض لرأوا ان موقني هو موقف من يقول انهُ يجب علينا ان ندافع عن المانيا اذا اعتدى عليها معتدٍ كما يجب علينا الآن ان ندافع عن البلجيك

في المانيا فريق من الناس يجري على مذهب ترتشكي وبرنهاردي من حيث مستقبل المانيا ومن حيث الواجبات الدولية عموماً . هذا الفريق معادٍ لاميركا كما هو معادٍ لغيرها من الدول . ويسمح لي مواطنيَّ الذين اصلهم المان ويودون ان لا تفعل اميركا لبلجكا حسب تقاليدها ومصالحها وما تحسبهُ فرضاً واجباً عليها بل تفعل حسب رغائب بعض الاميركيين الذين اصلهم الماني ان انبههم الى ما قالهُ ترتشكي وهو « ان العمران يخسر خسارة كبيرة بصيرورة بعض الالمان اميركيين وان اهالي المانيا لا شبهة عندهم ان عمران العالم يخسر كلما صار رجل الماني يتكيًّا (١) »

ولا اعتقد ان الالمان الذين يجارون ترتشكي في كره كل الذين ليسوا المانًا واحتقارهم وبرنهاردي في احتقارهم الحقوق الدولية هم الفريق الاكبر من الشعب الالماني ولا انهم فريق كبير منهُ واظن ان جمهور الالمان الذين يبررون عمل حكومتهم في بلجكا يعتقدون ان الضرورة قضت بذلك والاَّ دارت الدائرة على المانيا واستولت عليها فرنسا وروسيا . واذا خاف المرء ان تدور الدائرة على بلادهِ فتخرب جيشهُ خوفهُ على اباحة كل محظور . فسبيل الذين على الحياد حينئذٍ ان يزيلوا هذا الخوف منهُ . وعندي انهُ لو كانت المانيا آمنة كل خطر في تخومها الشرقية والغربية لما رضي الشعب الالماني بما عملتهُ حكومتهُ في بلجكا

السلم الحالي من الحيف

والسبيل الفعَّال لنزع هذا الخوف من نفوس الالمان هو ان تتعهد الدول التي على الحياد مثل الولايات المتحدة بالدفاع عن استقلال المانيا وحفظ شرفها اذا اعتدى عليها معتدٍ كما تتعهد بالدفاع عن استقلال البلجيك او فرنسا او روسيا او انكلترا او اية دولة اخرى متمدنة اذا اعتدى عليها معتدٍ . ولا يتمُّ ذلك الاَّ اذا اتفقت الدول العظمى على اسلوب للسلم مثل الاسلوب الذي أشرت بهِ ومدارهُ على ان الدول العظمى تتعهد من تلقاء نفسها ان تنصر الحق

(١) لقب ضعة للاميركيين

بالقوة لكي يكون اعتراضها على انتهاك الحرم فعّالاً وتعاقب المسيء اذا اقتضت الحال ذلك . هذا هو السلم المؤيد بالحق واما السلم الذي ينادي به بعض المتحمسين وليس من يؤيده فكلام فارغ . وفي الولايات المتحدة كثيرون من الذين ينادون بهذا السلم ومن الذين يؤيدونهم عن حسن نية ولكن عن قلة معرفة وفيها ايضاً كثيرون من الذين يرون هذه الفرصة فيستخدمونها في مصلحة المانيا و يطلبون من الولايات المتحدة ان تبادر الى طلب الصلح او الهدنة على شرط ان تبقى بلجكا ملكاً لالمانيا ولا تعوّض شيئاً مما حاق بها من الرزايا . يحاولون عقد صلح يتضمن بزور مستقبل رحيب وشر مقعد مقيم يترقبهم الامور على ما هي عليه من غير ان يشيروا بشيء يمنع تكرار الشرور التي منيت بها البلجيك . هؤلاء كلهم سواء كانوا من المنادين بالسلم او اصحاب المتاجر الواسعة واكثرهم من الذين ولدوا في غير اميركا او ضعاف العقول او الجبناء الذين يحجمون عما يطلب منهم كلهم في الدرك الاسفل من المهانة

وكل الذين ينادون بالسلم وهم من هذا القبيل يشبهون اناساً رأوا السلب والنهب فاشيين في شوارع نيويورك فاجتمعوا وطلبوا ان يكف رجال البوليس عن العمل مقابل كف اللصوص وقطاع الطرق عن السلب والنهب على شرط ان يبقى لهم ما سلبوه وما نهبوه . فان اخا المروءة ونصير السلم هو الرجل الذي اذا رأى ذلك في مدينة كبيرة قوّى رجال البوليس فيها و بذل جهده في منع السلب والنهب واصرّ على عقاب المجرمين . ويحسن بالمتحمسين في طلب السلم الذين يقولون انهُ لا يجوز استعمال القوة في المشاكل الدولية ان يتذكروا ان رجال الشرطة الاكفاء هم الذين لا يلجأون الى استعمال القوة ما دام ذلك في الامكان ولكن اذا دعت الضرورة الى استعمال القوة حيث لا يفهم الاشرار دليلاً غيرها فلا يحجمون عن استعمالها . وما يصدق على الناس في معاملاتهم الاجتماعية الخصوصية يصدق على الممالك في المعاملات الدولية

اسلوب للسلم يمكن العمل به

لا يجسر احد ان يقول ما في الحدود اللازمة لانشاء رابطة عامة لاجل السلم الخالي من الحيف اي الذي لا يضام احدٌ به . واني اعرض الاسلوب التالي لكي لا ادع الامر مبهماً وعندي ان هذا الاسلوب يمكن العمل به ان وافقت عليه الدول كلها عن حسن نية وقامت بما تعهدت به كما قامت الولايات المتحدة بما تعهدت به لكوبا من حيث حفظ استقلالها والجزائر فيليبين من حيث اعطاؤها حكومة عادلة منتظمة و باقامها ترعة بناما . وكما قامت انكلترا بعهدها لما خُرق حياد البلجيك

وكل الدول المتمدنة التي تقدر وتريد ان تستعمل قوتها الحربية لنصرة العدل اذا دعت الحال الى ذلك يحق لها ان تنضم الى غيرها لتأليف محكمة دولية وتسن قوانينها ولا يعطى هذا الحق الاَّ للدول المتمدنة المتصفة بالشهامة وعزة النفس والرغبة في الاستبسال لنصرة الحق

وينبغي ان تسلم هذه القوانين ببقاء الحالة الحاضرة كما هي لانهُ اذا اريد ازالة المظالم القديمة اضطررنا ان نرجع الى الوراء قروناً عديدة . ويجب على هذه الدول ان تقرر ان بلاد كل دولة منها هي لها ولا يجوز الاعتداء عليها بوجه من الوجوه وان كل دولة حرة ان تسن لنفسها القوانين المتعلقة بشرفها ومصالحها الحيوية كالشروط التي تقبل بها المهاجرين الى بلادها الاقامة فيها او للتاجرة او لغير ذلك من الاعمال . وتضمن حقوق كل دولة من هذا القبيل فلا تكون هذه الحقوق عرضة للتحكيم كما ان حياة الانسان وحفظ اعضاء جسمهِ ليسا عرضة لقوانين التحكيم

واما سائر الاختلافات التي تقع بين الدول فيفصل فيها في محكمة التحكيم الدولية ولا يكون القضاة نواباً عن الدول بل قضاة يحصر المعنى ويحسن ان يختاروا لكل مسألة بالقرعة من مجموع القضاة بعدما يخرج منهم نواب الدولتين اللتين يراد الفصل في ما بينهما من الخلاف . ويجب ان تتعهد الدول كلها باستعمال قوتها اذا دعت الحال لمقاومة كل دولة تأبى الطاعة لحكم هذه المحكمة او تعتدي على حق تقرر صريحاً حفظهُ لكل الدول

بشروط مثل هذه توقى البلجيك من اعتداء الالمان عليها وتطمئن المانيا من اغارة فرنسا او روسيا عليها

منافع هذا الاسلوب

ولا يقتصر نفع هذا الاسلوب على الدول المتعاقدة اي التي تنتظم في دائرتهِ بل يشمل دولاً اخرى من الدول المتمدنة التي لا تريد ان تتعهد بتنفيذ احكام المحكمة بالقوة . ولا يكون لهذه الدول ان تشترك في اختيار القضاة لانهُ لا يجوز ان يشترك في ذلك الاَّ الدول التي تستطيع وتريد ان تنفذ حكم هؤلاء القضاة ولكن هذه الدول تعامَل بالعدل والانصاف واذا وقع خلاف بين واحدة منها واحدى الدول المتعاقدة حقَّ لها ان ترفع ظلامتها الى محكمة التحكيم وتنتظر منها الحكم بالعدل وينفذ الحكم كما لو كانت من الدول المتعاقدة

ولا يقبل في الصف الاول اي صف الدول المتعاقدة الاَّ الدول المتمدنة الحسنة التصرُّف القادرة على القيام بما تتعهد بهِ . فلا تقبل فيهِ الصين ولا تركيا ولكن تقبل فيهِ المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وروسيا والولايات المتحدة واليابان وبرازيل والارجنتين

وشيلي واورغواي وسويسرا وهولندا واسوج ونروج والدنمارك وبلجكا. واذا ظلت الصين سائرة في الخطة التي سارت فيها في السنوات الاخيرة قُبلت في الصف الثاني اي تعطى حقوق الدول المتعاقدة ولو لم تكن منهن. واما المكسيك فلا تقبل الآن لا في الصف الاول ولا في الثاني. ويحق لدول اوربا كلهن ان ينتظمن الآن في الصف الاول ما عدا تركيا

اما سائر البلدان والممالك الصغيرة التي لا يحق لها الانتظام في الصف الاول ولا في الثاني كبعض البلدان المستقلة في اميركا الجنوبية واواسط افريقية فيحسن ان تقر الدول المتحدة على طريقة تعاملها بها وتتركها الآن كما هي الى ان تقرّ على هذه الطريقة

ولا يخفى ان اسلوبي تحول مصاعب كثيرة دون العمل به وما من احد يستطيع ان يكفل نجاحه التام ولكنني اعتقد ان العمل به ممكن ومتى عُمل به صارت احوال الناس احسن مما هي الآن. فان جهنم قد فتحت فاها في بلجكا والمكسيك وجانب كبير من اللوم في ذلك واقع على هامة طلاّب السلم في اميركا نعم انهُ لم يكن لهم يدٌ في اثارة هذه الحرب اذ ليس لهم جرأة لفعلوا شيئًا ما ناقمًا كان او ضارًّا مما يقتضي حسارة وعزيمة صادقة ولكنهم لا يبرأون من المسؤولية لان الراضي بالشر كفاعله

انتهى ما ترجمناهُ من مقالة روزفلت وقد استطرد الى لوم الرئيس ولسن لانهُ قال في الرسالة التي بعث بها الى مجلس النواب الاميركي ما مفادهُ ان البلاد في حرز حريز ولا داعي لانفاق النفقات على بناء البوارج الحربية. ثم قال (اي روزفلت) انهُ لو قالت انكلترا هذا القول منذ عشر سنوات لكانت بلادها الآن بركة من الدماء فعلينا ان نصلح بحريتنا ونقويها حالاً جارين على ضد السياسة التي جرى عليها الرئيس ولسن حتى الآن. ولا يمكن ان تصلح امورنا الحربية والخارجية ما دام في وزارة الحربية ووزارة الخارجية رجلان مثل دانيالس وبريان. ولم يكن الرئيس ولسن ليجسر ان يقيل احدهما او وزارة المالية لانهُ لو فعل ذلك لظهر الضرر المادي حالاً ولرأى اشد المقاومة من رجال المال في البلاد

والظاهر ان اعتداء الالمان على الرعايا الاميركيين جاء مؤيداً لآراء روزفلت فاضطر المستر بريان الى الاستعفاء من وزارة الخارجية وحمل الحكومة الاميركية على زيادة النفقات الحربية والبحرية زيادة فاحشة حتى تستعد لكل الطوارىء. واذا انتخب المستر روزفلت للرئاسة في الانتخاب التالي كما يرجح فلا يبعد ان يحمل الدول كلها على العمل بالاسلوب الذي اشار بهِ في هذه المقالة فيفيد النوع الانساني اكثر مما افادهُ احد قبلهُ

في سالف الدهر . ولولا امثال ذلك الخلل ما كانت الارض عرضة للادوار الجليدية التي تنتابها من حين الى آخر فتقرض جانباً كبيراً مما فيها من حيوان ونبات ثم يفارقها ذلك الدور فتعود منجماً طيباً للاحياء

كان الرأي فيما مضى ان الحيوان دون النبات مختص بالشعور والاحساس لان له جهازاً عصبياً ليس للنبات . فلذلك يجب ان يكون تنازع البقاء مقصوراً عليه . ولكن العلماء باتوا الآن اكثر تردداً مما كانوا في الجزم بهذه المسئلة . يقولون وما ادرانا ان لا يكون للنبات شعور كالحيوان . والاَّ فما هذا الذي نراهُ منهُ مما لا يعلل ولا يفسَّر الاَّ بكونهِ حيًّا شاعراً . نراهُ يلجأ الى وسائل للدفاع عن نفسهِ وحفظ كيانهِ ليست الاَّ للحيوانات ذوات الاعصاب . ولم يقتصر في حرب البقاء هذه على الدفاع بل قد يتجاوزهُ الى الهجوم . حتى لقد انشأت احدى الصحف العلمية الشهيرة بالامس مقالة جعلت عنوانها « هل النبات قاسٍ لا يرحم » وذكرت امثلة على تعذيبهِ للهوام وغيرها من انواع الحيوان . وقبل ذكر هذه الامثلة نذكر امثلة اخرى على ما يفعلهُ النبات في سبيل حماية بزورهِ واثمارهِ

خذ الخوخ والمشمش والكرز والتفاح وغيرها من الاثمار ترها قبل نضجها اي قبل قضاء عمرها المكتوب لها حامضة الطعم جدًّا وهذه الحموضة تقيها شرَّ اعتداء معتدٍ عليها قبل اوانها . ثم ان البزرة في بعضها مدفونة في قشرة صلبة دون الوصول اليها جهد وتعب . وبعد ذلك الجهد وذلك التعب كثيراً ما تكون البزرة مرة لا تؤكل كبزر الخوخ او حاوية لمادة سامة كبزر المشمش المر . واللباب اما ان يكون محميًّا بقشرة صلبة كاللوز والبندق والفستق واما ان يكون محميًّا بقشرة صلبة فوقها طبقة مرة عضة الطعم كالجوز

ومن النبات ما يحمي بزورهُ بحركات غريبة يأتيها . وواقع الامر ان النباتات اكثر حركة مما يظن عادة بل هي في حركة دائمة . ولكن انتقالها من مكانها ببطءٍ على الغالب الى حدٍّ ان لا يلتفت اليها ولا ينتبه لها اما بعض اصناف النبات فليست كذلك . فان النبات المعروف بالسنط الحساس تنغض اوراقهُ او تتدلى اذا مسَّ . ومنهُ فصيلة ترى اوراقها في صعود ونزول طول النهار واخرى اوراقها في دوران دائم . ومن النبات ما تنام اوراقهُ كما كثر انواع السنط . فاذا اقبل الليل غيرت اماكنها وانطوت من نفسها فيقلُّ بذلك سطحها المعرَّض للاشعاع وبالتالي خروج الحرارة منها فتوقى من البرد . ولقد اثبت دارون بالامتحان ان الاوراق التي لا تتحرك تذاق عذاب البرد اكثر من الاوراق المتحركة . والازهار تنام كذلك . فالازهار التي يحوقف تلقيحها على الحشرات والهوام النهارية كالنحل تنام ليلاً وتستيقظ نهاراً . والتي

النية على تربيته تربية فرنسوية ولكنهُ لم يكد يتعلم الفرنسوية حتى ذهب الى انكلترا ودخل الجيش فكان فيهِ هزوءًا لرفاقهِ بسبب غرابة سلوكهِ ولهجتهِ الفرنسوية فسئم الخدمة العسكرية فباع بعض املاكهِ وكان ذا ثروة طائلة وسافر الى اميركا الجنوبية كما تقدم فبلغ ريوجنيرو سالمًا سنة ١٨٥٤ . وفي ابريل من تلك السنة ركب باخرة اسمها « بلاً » فغرقت بهِ وبسائر من كان فيها . وكان مؤمنًا على حياتهِ فاخذ اهلهُ المبلغ المؤمن بهِ عليهِ وفصلت المحكمة في امر تركتهِ في يوليو سنة ١٨٥٥ فورث اخوهُ الاصغر املاكهُ ولقبهُ وهو لقب سر سنة ١٨٦٢ ثم مات سنة ١٨٦٦ واسمهُ السر الفرد تشبورن

لم يبق احد الاَّ اعتقد بغرق روجر غير امهِ حتى بات منزلها في تشبورن بارك موئل كل بحري آفاق يزورها فيلقى منها صدرًا رحبًا لعلهُ يكون ابنها او يقص عليها اخبار رحلاتهِ لعلها تتسم منها نبأ عنهُ واكثرت من نشر الاعلانات في الصحف تصفهُ عسى ان يدلها احد عليهِ ويرشدها الى مكانهِ . وفي نوفمبر من سنة ١٨٦٥ اجابها من سدني في استراليا ان في قريتهِ واجاراجا بقاطعة كوينسلند جزارًا شابًا تطابق اوصافهُ اوصاف ابنها واسمهُ هناك طوم كاسترو . والواقع انهُ لم يكن يشبههُ فان روجر كان نحيف البنية ذا شعر اسود ساجٍ في حين ان كاسترو الجزار كان ضخم البدن ذا شعر متموج اشهب . وكان اول كتاب ارسلهُ الى اللايدي تشبورن (التي ادعى انها امهُ) دليلاً على جهلهِ واميتهِ وقد اشار فيهِ الى امور شتى اعترفت بانها لا تذكرها واهمها علامة في جسمهِ ظهرت فيهِ منذ ولادتهِ وحادثة جرت لهُ في بريطون في صغرهِ . ولكنها كانت كمن بهِ مسٌّ من السحر لا يجول في صدرها الاَّ خاطر ابنها حتى غلب ذلك الخاطر شبهاتها في شخصية كاسترو فارسلت اليهِ نقودًا وطلبت منهُ ان يجيء الى انكلترا

اما هو فابى السفر ولكن كان قد التف بهِ نفر من الطفيليين كثير الادعياء يعدون انفسهم بكل خير ونعمة اذا ربحوا القضية فاقنعوهُ بالسفر وزادهُ اقتناعًا ان رجلاً من اصدقاء السر جيمس تشبورن ابي روجر مقيمًا في سدني كان يعتقد بصدق مدعاهُ لما بينهُ وبين ابي روجر من الشبه . وتعرَّف وهو في سدني بعبد اسود اسمهُ « بوجل » كان في خدمة اسرة تشبورن فسافر هذا معهُ الى انكلترا في صيف سنة ١٨٦٦ . فبلغا لندن يوم عيد الميلاد من تلك السنة فزار منزل اسرة تشبورن حيث تعرف برجلين نصراهُ في دعواهُ وهما ادورد هوبكنس محامي الاسرة وفرنسيس بايجنت وكان مطَّلعًا تمام الاطلاع على تاريخ الاسرة . ثم سافر الى باريس حيث زار اللادي تشبورن « امهُ » المزعومة وكانت زيارتهُ

اباها في غرفة فندق وفي يوم مظلم من ايام يناير فاعترفت انهُ ابنها . وهذا الاعتراف اثر تأثيراً عظيماً في الجمهور الانكليزي ولم يكونوا يعلمون غرابة اخلاق هذه المرأة واطوارها

ومما دلَّ على غرابتها انها لم تعبأ بجهل هذا الرجل للغة الفرنسوية بل تسامحت في ذلك وعينت لهُ الف جنيه في السنة واستقبلت قريبتهُ وهي فقيرة امّية وسلمت اليهِ يومية ابنها وكتبهُ التي كتبتها اليها من اميركا الجنوبية . فاخذها ودرسها وتعلم منها اموراً كثيرة ساعدتهُ في دعواهُ وساعدهُ ايضاً فيها نقيب الاسرة المذكور آنفاً وجندبان من الاورطة التي انتظم ابنها في سلكها قبل سفرهِ الى اميركا وكان المدعي قد اخذهما خادمين لهُ . وجرى مع هذا التيار جميع الفلاحين الذين كانوا يعملون في املاك روجر وكثير من العائلات المجاورة لتلك الاملاك ومن ضباط الاورطة المشار اليها . اما اعضاء اسرة تشبورن في انكلترا فاجمعوا على ان كاسترو محتال وعملوا بعد بحث كثير ان اسمهُ الحقيقي آرثر اورطن وهو ابن جزار في بلدة وابنغ ولد سنة ١٨٣٤ وسافر الى اميركا الجنوبية سنة ١٨٥٠ فتعرف في مدينة ملاّ في شيلي بعائلة رقّت لحالهِ فاعتنت بهِ وسمتهُ باسمها كاسترو ثم سافر الى استراليا حيث عُرف بهذا الاسم مدة اقامتهِ فيها . واثبت اعضاء اسرة تشبورن ايضاً انهُ حالما وصل الى انكلترا من سدني توجه الى وابنغ وسأل عن الذين كانوا لا يزالون احياء من اهلهِ . وان روجر تشبورن لم يذهب الى مدينة ملاّ التي اقام اورطن زمناً فيها . ولما كتب اورطن الى اللادي تشبورن من استراليا خاطبها بلفظة « ماما » في حين ان روجر لم يخاطبها مرة الاّ بلفظة « امي » . ومن البعيد ان يقول الابن لامهِ « ماما » في كبرهِ وقد كان يقول لها « يا امي » في صغرهِ . وكان يجهل في بادئ الامر اشياء كثيرة يندر ان ينساها احد مثل اسم امهِ ونمرة اورطتهِ واسم السفينة التي سافر عليها من انكلترا . وكان يجهل الفرنسوية تماماً مع ان روجر تربى في فرنسا ولكنهُ كان يعرف بعض الاسبانية على اثر اقامتهِ في اميركا الجنوبية . وكان روجر قد تعلم اللاتينية في انكلترا . اما اورطن فلم يعرف الفرق بين اللاتينية واليونانية القديمة

فهذه القرائن لم تبقِ مجالاً للريب في ان المدعي لم يكن روجر تشبورن . ثم ان هنالك قرائن اخرى كانت تطابق كونهُ اورطن . فقد قال انهُ اصاب بمرض عصبي اسمهُ الطوريا وروجر لم يكن كذلك . وذكر في وصيتهِ ومذكراتهِ اشخاصاً تعرفهم عائلتهُ ولا تعرفهم اسرة تشبورن . وزد على هذا انهُ كان يجهل املاكهُ وما يتعلق بها وقال ان الباخرة التي سافر عليها من انكلترا اسمها « جمي ملر » وبعد البحث والمراجعة ظهر انها الباخرة التي سافر اورطن

عليها وان روجر سافر على الباخرة « بلاّ » . ولما وصل انكلترا قصد توًّا بلدة وابتغ كما تقدم وسأل عن جزار كان يسكن هناك فيما مضى

هذه القرائن مضافًا اليها ان اللادي تشبورن ومحامي الاسرة لم يبلغا طويلاً حتى ماتا — ثبطت عزائم اورطن فتنحى « سحب » قضيته والعدول عن المطالبة بالميراث ولقب الشرف لولا مضايقة مدينيه اياهُ وتشديدهم عليهِ وكانوا قد اقرضوهُ اموالاً كثيرة على ذمة جلد الدب كما في الحكاية المشهورة . ثم جيءَ بهِ الى المحكمة ودامت محاكمتهُ ١٨٨ يومًا فكانت اقوالهُ وشهاداتهُ نسيجًا من الجهل والاحتيال والاصرار على التوفيق بين أقوالهِ المتناقضة مما لم يسمع بمثلهِ في محاكم القضاء . وحلف اكثر من مئة شاهد بانهُ روجر وكان معظمهم صادقين في اعتقادهم ولو كانوا مخدوعين . وحلف كثيرون ايضًا بانهُ ليس هو . وحلف آخرون بانهُ اورطن . ويقال ان كثيرين بقوا بعد المحاكمة وصدور الحكم يعتقدون بان المدعي كان روجر بعينهِ وحجتهم ان اللادي تشبورن ورفاقهُ المزعومين في اورطنهِ قالوا انهُ روجر فلا بدَّ ان يكون هو . وبقي الجمهور في ريب من امرهِ حتى خطب النائب العمومي خطبة طويلة ابان فيها حقيقة المسئلة وكشف النقاب عن المؤامرة التي دبرت لاثبات كون المدعي هو روجر صاحب الثروة الطائلة والالقاب السامية . فقبض عليهِ وحوكم على الحنث باليمين فاصر على القول انهُ روجر وابدى عناداً ادهش الجميع ولكن خطأ محاميهِ وشهادة عشيقة لهُ ورفض المحامي ان يحضر اخواتهِ للشهادة — هذا كلهُ اقنع المحلفين فاخذوا المداولة نصف ساعة وحكموا بان المدعي هو اورطن لا غيرُ . فحكم عليهِ للحنث مرتين بالاشغال الشاقة ١٤ سنة وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٧٤ فاقام في السجن ١٠ سنوات . وتوفي بعد خروجهِ منهُ باربع عشرة سنة اي سنة ١٨٩٨

وقد كان سبب ضجة الجمهور حول هذه القضية وعدم تفهمهم لها ظنهم انهُ لما كان كل شاهد تقريبًا يؤتى بهِ للشهادة ضد المدعي قد يكون مخطئًا لذلك يكون الشهود في مجموعهم مخطئين . فان المدعي لا يبعد ان يكون قد نسي الفرنسوية . ونسي اسم « امه » ونمرة اورطنهِ واسم السفينة التي سافر عليها وهكذا الى آخر هذه القرائن الصغرى . ولكن لا يحتمل ولا يتصور انهُ ينسى هذه الامور كلها لو كان هو روجر حقيقة . وعليهِ كثيرًا ما يكون للقرائن الضعيفة الصغيرة قوة البينة والحجة الدامغة عند جمعها وتمحيصها ومقابلتها بعضها ببعض

وقد بلغت نفقة المحاكمتين اي سماع القضية الاصلية وسماع القضية الفرعية التي تفرعت عنها وهي محاكمتهُ على الحنث باليمين ٢٠٠ الف جنيه دفعت اسرة تشبورن ٩٠ الفًا منها .

وكان مؤيدو المدعي من اهل الطبقة العليا قد نبذوهُ وشجروهُ قبل المحاكمة الثانية ولكن الذين الفوا شركة مساهمة دفعوا فيها المال للانفاق على قضيته واهل الطبقتين الوسطى والدنيا عامة اعتقدوا انهُ رجل مضطهد . وفي سنة ١٨٧٥ عرض على مجلس النواب اقتراح فحواهُ احالة هذه القضية الى لجنة ملكية لاعادة النظر فيها فرفض المجلس هذا الاقتراح بالاجماع فهاجت لندن وماجت وخيف حدوث فتنة واعدت الجنود لقمع الفتنة اذا حدثت . ولكن الخواطر سكنت من نفسها فلما خرج اورطن من سجنهِ سنة ١٨٨٤ لم يعبأ الناس بهِ ومات سنة ١٨٩٨ فقيراً منسيًّا

الفصاحة والبلاغة

قالوا في حدّ الفصاحة انها سلامة الكلام من عيوب منها الكراهة في السمع كالنقاخ في قول الشاعر

واحمق ممن يكرع الماء قال لي دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

والنقاخ هو الماء العذب الصافي . وفات الذين استشهدوا بهذا البيت ان الشاعر كان في معرض تفضيل الخمر على الماء فلا بدع اذا جاء بافصح اسماء الخمر وبافبح اسماء الماء . وعندي انهُ لو صحح لهُ الوزن لجاء بلفظة المدامة او بنت الحان او بنت الدوالي او بنت العنقود او غيرها من الالفاظ التي يكنى بها عن الخمر وهي خالية من تنافر الحروف . ولو وجد في اللغة اسماً للماء اثقل على الاذن من النقاخ لجاء بهِ مبالغة في هجاء الماء . فالاستشهاد بهذا البيت على الاخلال بالفصاحة في غير محلهِ . والذي اراهُ ان لفظة النقاخ هي اللفظة التي لا يصلح غيرها مكانها الاَّ اذا كان اوقر في الاذن منها . وكلما زاد وقراً وزادت الاذن نبوًّا عنهُ كان اوفى بالمراد . أيريد اهل الفصاحة من الشاعر ان يأتي بلفظة زلال او سلسبيل (بشرط ان لا يخل الوزن) او غيرهما من اسماء الماء الفصيحة ؟ لو جاء الشاعر بلفظة زلال مثلاً في المقابلة بين الخمر والماء لجاءت اللفظة مخلّة بالفصاحة والبلاغة في نظري . اذ لا يستبعد على كارع الماء اذ ذاك ان يظفر بحمل الشاعر على هجر الخمر لمجرد الاتيان باسم فصيح من اسماء الماء .

كذلك قالوا ان الفصاحة سلامة الكلام من التنافر واوردوا شاهداً هذا البيت :

وقبر حرب بمكان قفرٌ وليس قرب قبر حرب قبرُ

صحيح ان الكلمات متنافرة فهي ليست فصيحة كما ان لفظة نقاخ ليست فصيحة اذا اريد

بالفصاحة مجرّد السلامة من العيوب بلا نظر الى المراد و بعبارة اخرى بلا نظر الى البلاغة . ولكن ألم يخطر على بال المستشهد بهذا البيت ان الشاعر نظمهُ قصد التلاعب بما فيهِ من التنافر . ويخيّل اليّ انهُ لما انتهى من نظمهِ انشدهُ بعض اخوانهِ وخاطرهم على شيء يعطيهم اياهُ اذا استطاعوا ترديدهُ مرة او مرتين على عجل كما يفعل الناس في كل عصر وفي كل لغة وكما نفعل نحن الآن . من منّا يقول ان المتنبي لما نظم بيتهُ المقلقل

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كلهن قلاقلُ

لم يكن يعلم ما فيهِ من تنافر الكلمات وعندي انهُ ما انتهى من نظمهِ الاّ وهو يقهقه اعرابهِ وانهُ ما اثبتهُ الاّ لتلك الغرابة . والاّ فمن الجهل ان يظنّ ان الذي نظم هذا البيت لا يستطيع ان يدرك عظم الفرق من حيث الفصاحة والبلاغة بينهُ و بين امثال الابيات الآتية التي من نظمهِ كقولهِ :

حسان الثني ينقش الوشي مثلهُ اذا مسن في اجسامهنّ النواعم

وقولهِ :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ولحبك ما لم يبقَ مني وما بقي

وقولهِ :

حطت دون المزار فاليوم لوزر ت لحال النحول دون العناق

ومن منا يقول ان ناظم الابيات التالية في مكانين وزمانين ومناسبتين مختلفتين لا يعلم ان الواحد في واد والآخر [illegible] الواحد . اما الواحد فهو :

اذا فاتت لحاجتها لحظت كان عظامها من خيزران

واما الآخران فهما :

انما عظم سليمى حبتي قصب السكّر لاعظم الجملْ

فاذا ادنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصلْ

ألا ترانا ونحن في معرض التلاعب بالالفاظ قصد التسلية والتفكهة نأتي بمثل بيت المتنبي المقلقل ؟ من ذلك قول بعضهم « شجرة الخروبة حملت خروبتين خروبة لك وخروبة لي » . وقولهم « قم يا قمقم قم نقمتم قم للقنه قم كل قمح » وهو مثل قير حرب

أيقول قائل ان المتنبي اخل بالفصاحة بقولهِ في ذم ضبة بن يزيد العتبي :

ما انصف القوم ضبّة وامه الطرطبه

نعم ان طرطبة غير فصيحة ولكنها مقصودة فلا يصح الاستشهاد بها في مقام الاخلال

بالفصاحة وتفاخ مثلها . فاذا قلت لي هات لنا مثلاً صادقاً على الاخلال بالفصاحة قلت لك خذ هذا المثل :

بيت بموماة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المسالك

فما هذا الجحيش؟ وما ذلك اليعروري ؟ فالجحيش هو الفريد فلم لم يقل الشاعر «فريداً» مكان «جحيشاً» و «شريداً في» بدل «و يعروري» الا اذا كان يقصد الكراهة في السمع وهي من عيوب الفصاحة

او كقول الراجز غفر الله لهُ :

في نعشمان عنق يخور حابي الحيود فارض الحنجور

قالوا انهُ يصف بهذا البيت جملاً . ولكن ليس في البيت كلة يؤخذ منها ولو تلميحاً ان هذا وصف جمل او جبل . او انهُ من العربية في شيء اللهم لفظة «في» . ثم ما ادرانا انهُ ليس حكاية نهيج الافعى او تفيق الضفدع او «قلقلة المفتاح ضمن القفل» . او انهُ ليس نموذجاً من لغة الجنّ او او او الخ

وصفت مرة يوماً عاصفاً زوبعياً بقولي انهُ يوم مكفهرّ مستصعب قطرير . فقال ظريف ان فلاناً قضى العمر يتلمس الغرض لقذف هذه الرجوم التي هي اشبه بقذوفات مدافع سكودا او كروب فسخت لهُ الفرصة فتنفس الصعداء بعد انفراج كربته وانكشاف غمته

لما اعيت احد قواد نابليون الحيلة في معركة ووترلو صاح صيحة المغيظ المحنق ولكنهُ لم يقل سوى كلة واحدة وهي «مرد» ومعناها «براز» وسواء قال هذه الكلمة او وضعها هوجو عن لسانهِ في كتاب البؤساء فقد حسبت لهُ من قولاتهِ البليغة وبنى هوجو عليها فصلاً طويلاً على سبيل الشرح والتعليق وعدّها آية من آيات الفصاحة والبلاغة

***

ولننتقل الى باب آخر . عابوا على شاعر مشهور قولهُ

لا والذي هو عالم ان النوى مرّ وان ابا الحسين كريمُ

فقالوا واية علاقة بين النوى والكرم . والحق يقال اني ما سمعت معلم مدرسة الا وهو يستشهد بهذا البيت على الاخلال بالبلاغة وتلاميذهُ يتابعونهُ على قولهِ ويضحكون ضحكهُ . اما انا فارى ان بين النوى والكرم كل العلاقة . رجل نأى عن الاهل صفر الكف كما قال صاحب اللامية لا يخطر ببالهِ سوى قوتهِ وميتتهِ . واذا سأل عن احد في دار غربتهِ فانما يسأل عن الذي المعطاه ينحهُ بدينار يسدّ بهِ رمقهُ . فهو لا يسأل عن الاديب ولا عن

الغني البخيل ولا عن اخيهِ القريب الفقير . انيقال بعد هذا ان لا علاقة بين النوى والكرم وان كلمة « ابا الحسين كريم » وضعت في غير موضعها . فكأن الشاعر قال « والله ان الاغتراب عن الاهل والوطن صعب مرّ المذاق ولاسيما على من كان مثلي لا يملك ما يشتري بهِ كسرة من الخبز اتبلغ بها ولكني احمد الله على وجود رجل مثل ابي الحسين ندي الكف لا يخيب آملاً ولا يرد سائلاً فان حلاوة ملقاهُ تذهب مرارة النوى التي اتجرع غصصها » . هذا وان كان في البيت شيء يعاب فهو الاخبار عن « النوى » المؤنثة حقاً بلفظة « مرّ » المذكرة . فقد اجازوا قولنا طلع وطلعت الشمس في المؤنث المجازي ولكنهم لم يجيزوا مثل ذلك في المؤنث المختوم بعلامة التأنيث وان يكن مجازيًّا وان اجازوهُ في مثل طلع الشمس اي حيث الكلام فعل وفاعل لم يجيزوهُ في مثل النوى مرّ حيث الكلام مبتدأ وخبر

***

اما البلاغة فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتهِ فكل بليغ فصيح ولا ينعكس والبلاغة قد تكون بكلام وقد تكون بلا كلام . والكلام اما ان يكون نثراً واما ان يكون شعراً . فمن البلاغة في النثر قول مؤبن الاسكندر « اصبح آسر الاسرى اسيراً » وقول آخر « هذا الملك كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبأهُ » اشارة الى دفنهِ في تابوت من ذهب رصع بالجوهر وطلي بالصبر . وقول بوليوس قيصر معنفاً صديقهُ بروتس على التآمر عليهِ « أوَ انت ايضاً يا بروتس » فذهبت مثلاً على البلاغة مع الايجاز

وقول السيد المسيح وقد جاؤوا امامهُ بامرأة زانية يطلبون الحكم عليها بالرجم كما كانت عادة اليهود : « من منكم بلا خطية فليرمها اولاً بحجر » وهو منتهى الافحام

وقولهُ مخاطباً يهوذا احد رسلهِ معاتباً : « اقبيلة تسلم ابن الانسان » . وقد كان لهذا العتاب قوة الصاعقة المفاجئة . فانهُ جعل رجلاً مثل يهوذا واسع الذمة ميت الضمير عديم الوفاء لصديقهِ كاذب الولاء لسيدهِ — يزهق نفسهُ بيدهِ

ومن البلاغة في الشعر قول شاعر يرثي احد الخلفاء « مات الخليفة ايها الثقلان » والثقلان في قول الانس والجن فكأن الشاعر لم يكتفِ نعي موتهِ للناس فنعاهُ للجن ايضاً . وفي قولهِ ان الثقلين العرب والعجم فنعاهُ للعرب والعجم معاً . ولا تنكر بلاغة هذا الصدر ولكن نهاية عجز البيت اذهبت بلاغة صدرهِ كما هو مشهور

وقول المتنبي

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطمُ

وقولهُ :

حبيتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غدّاراً فكن انت وافيا

وقولهُ :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم

وربما زاد في بلاغة هذا البيت كونهُ ابن ساعتهِ كما هو مشهور

وقول شوقي :

وقالت قلب المرء قائلة لهُ ان الحياة دقائق وثواني

وقولهُ : ولقد شهدتك والردى بك محدق والسقم ملءُ معالم الجثمانِ

فهششت لي حتى كأنك عائدي وانا الذي هدّ المضى بنياني

وقولهُ :

وانا الذي ارقى الشموس اذا هوت فتعود سيرتها من الدوران

وقولهُ :

ذريني وشأني في الوغى لا مباليا الى الموت امشي ام الى الموت اركبُ

وقول حافظ :

تقول للنفس ان جاشت اليك بها هذا مجالك سودي فيهِ او بيدي

وقولهُ :

خشع البحر اذا ركبت جواريهِ خشوع القلوب يوم الحسابِ

وكان حقهُ ان يقول جواريهُ ولكن مثل هذه الهنوة اغتفرها النحاة حتى في نهاية الشعر واراجيزهِ فما بالك بالشعر البليغ . وهي اصغر من هنوة شوقي في قولهِ :

أمولاي غنتك السيوف فاطربت فهل ليراعي ان يغني فيطربُ

فاسكن اولاً ياء يغني كما اسكن حافظ ياء « جواريهِ » وهذا مغتفر . ثم رفع « فيطربُ » حيث يجب نصبها بعدّ عطفها على « يغني » المنصوبة بان وبعد وقوعها في جواب طلب محض . اما جعل قاء يطرب فصيحة مستأنفة ففيهِ تجوّز كثير

وقول الحوراني في شاعر ضرير اسمهُ عثمان :

يا ناظم الشهب الثواقب في الدجى اتركت للشعراء غير ظلامهِ

ما انت عثمان الضرير حقيقةً بل انت ذو النورين في ايامهِ

لكنما اغمضت عن هذا الورى كيلا ترى ذا الجهل فوق مقامهِ

وقول بعضهم:

يا اخا البدر قد جفانا اخوك البدر ظلماً فكن مكان اخيكا
واطلعن في دجى الليالي علينا ثم صلنا فانا واصلوكا
واذا ما عزّ الفداء فكم من مهج او من اكبُد تفديكا
يا اخا البدر ليس يشبهك البد ر فأنكر من لم يكن من ايكا
انما ضوء وجهه مستعارٌ وضياء الجبين منك وفيكا
وهو رهن الخسوف والنقص ماعا ش ولا شيء منهما يعروكا
يا اخا البدر قم بنا نجعل الشك يقيناً فقد ملأنا الشكوكا
ما سلوناك مرة فتعهّد بجميل من لم يكن يسلوكا

وربما كان ابلغ الشعر قول الشاعر يصف وادياً وسيماً:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاهُ مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحهُ فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمإٍ زلالاً ارقّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس انّى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاهُ حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فالالفاظ مختارة منقودة لا تنافر بين حروفها والمعاني ابكار

***

والبلاغة الصامتة اما ان تكون بذرف الدمع وعليهِ قال المغنّي المصري «لسان الدمع افصح من بيان» يريد أبلغ. ولما وقف السيد المسيح على قبر لعازر لم يقل كلمة في رثائهِ وهو صديقهُ الحميم ولم يطل في تأبينهِ بل بكى ثم انتقل فجأة من باب العواطف والخيالات الى باب الحقائق الملموسة وشرع في «عملية» احياء الميت ليري الواقفين حولهُ ان لكل شيء وقتاً. والمشاهد ان ذرف الوالد دمعة على فقد ابن لهُ افعل في نفوس الرائين من ندب عشرات النادبات

واما ان تكون بالسكوت المطلق كقول داود النبيّ «السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديهِ. يوم ليوم يذيع كلاماً وليل لليل يبدي علماً ليس قول ولا كلام لا يسمع بهِ صوتهم. في الارض كلها ذاع منطقهم والى اقصى المسكونة كلماتهم». وقد قال تنيسون من اعاظم شعراء الانكليز في وصف مزامير داود انها من ابلغ الشعر. وان شعرهُ هو بازائها شعر ضعيف يقاوي او قصير يطاول

وان سكوت الليل وشروق الشمس وغروبها وطلوع القمر وظهور الكواكب كل يوم بلا جمجمة ولا طنطنة لأبلغ في الدلالة على وجود علة العلل وقوته من ان يعهد في هذه الاعمال كلها الى ملائكة يذيعونها على الملإ بالكلام كأن يظهر ملاك في الافق قبيل شروق الشمس و يقول « ايها الناس ان الشمس ستشرق عليكم » ثم تشرق الشمس . وقبيل المغيب يظهر ملاك آخر و يقول « ايها الناس ان الشمس ستغرب عنكم » ثم تغرب . لو وكلت هذه الاعمال الى ملائكة يخبرون بها لاعتادها الناس ولاعتادوا مرأى الملائكة فزال عالها الآن في القلوب من رهبة وخشية . وربما ضايق الناس الملائكة فطلبوا اليهم تأخير الشروق او الاسراع بالغروب لمآرب في انفسهم . ولكن هذه الاحداث كلها تحدث بلا قول ولا كلام ولا انذار ناطق وبذلك حافظت الطبيعة على هيبتها في النفوس ولم تجرّ على نفسها الاحتقار الذي تجلبهُ المخالطة وزيادة الالفة كما ان الناس لم يألفوا الموت على كثرة تمرسهم بهِ ولا زالت رهبتهُ من القلوب لانهُ ساكت صامت . ولو ان عزرائيل كلما اراد قبض نفس بعث اليها بالاعلان في اثر الاعلان والانذار في اثر الانذار ثم ظهر ليقبضها لعصى الناس عليهِ ولم يجودوا بنفوسهم ولدالت دولة الموت وعاش الانسان مخلداً

وعندي ان الكلام البليغ (والفصيح بالضرورة) هو الذي يفهمهُ العامة و يطرب لهُ الخاصة لاشتمالهِ على اسرار البلاغة الطبيعية والاصطلاحية وخلوهِ مما يناقضها مع مراعاة روح العصر والجري على مقتضاهُ

القول مع مراعاة روح العصر والجري على مقتضاهُ واريد بذلك ان ما يحسب فصيحاً بليغاً في عصر قد لا يحسب فصيحاً بليغاً في عصر آخر . فانك اذا اخذت ديوان المتنبي رأيت فيهِ كلمات تحسبها نافرة وتراكيب تحسبها ركيكة الآن حتى ليدهشك صدور ذلك من شاعر لم تنكر سعة اطلاعهِ على مفردات اللغة والوقوف على قواعدها ودخائلها وان انكرت شاعريتهُ . والحقيقة ان المتنبي لم ينقب عن النافر ولا تعمد التفتيش عن الركيك ليزجها في بيانهِ وانما كانا من البضاعة التي رواجت في عصرهِ ثم كسدت فيما بعدهُ . ويخيّل اليّ انهُ لو انتفض من مدفنهِ وزال قبرهُ وكفنهُ ثم عرض عليهِ شعرنا ونثرنا لينقدهُ لربما عدّ ركيكاً ما نحسبهُ بليغاً ونافراً ما نحسبهُ فصيحاً والضد بالضد

كان شعراء الانكليز في القرن الرابع عشر ينظمون شعراً لا يفهمهُ معاصرونا منهم الآن . خذ مثلاً لذلك الشاعر « تشوسر » فانهم يحسبونهُ من خيرة شعرائهم ولو لم يفهم شعرهُ الا الذي يدرسهُ خصيصاً لان فيهِ كثيراً مما كان في عهدهِ فصيحاً فيات في هذا العهد ملغى مهملاً .

ولم يأت القرن السادس عشر قرن شكسبير وباكون حتى تغير ذلك كله فان شكسبير نظم شعراً انكليزياً يفهمهُ اهل هذا العصر ويعدونهُ آية في البلاغة . وما ذلك الا لان اللغة الانكليزية تغيرت تغيراً كلياً في مدى قرنين فكأنها خلعت حلة ولبست حلة اخرى فامسى الفصيح القديم عيّاً مهملاً في العصر الجديد . وبعد شكسبير لم يطرأ على اللغة الانكليزية انقلاب كبير ولكن كثيراً من الكلمات الواردة في نظمهِ اهمل استعمالها الآن . فاذا فتشت عنها في معجمات اللغة عندهم وجدت قبالتها لفظة « مهملة » . ولقد صدق من قال : « لكل مقام مقال ولكل دهر دولة ورجال » (ن . ش)

طعام الانسان

لا جدال في ان طعام الامم عامل رئيسي في تربية اخلاقها وتكوين قوميتها لا يفوقهُ في ذلك الا الاقليم الذي تسكنهُ . لما قام المستر لويد جورج وزير مالية انكلترا سابقاً ووزير المبرة والذخيرة حالاً يخطب في ذم المسكرات أبان القومة التي قامت في انكلترا عليها اشار الى الشاي فاطراهُ ونسب الى شرب قومهِ اياهُ ما يدب في صدورهم من روح الهمة والاقدام . ولا ريب ان في هذا القول بعض المبالغة لان اسلاف الانكليز لم يكونوا دون ابنائهم همة واقداماً في حين لم يكونوا يعرفون الشاي . ولكن لا ينكر ان شرب الشاي في الاصقاع الباردة يساعد على توليد الحرارة الحيوانية اللازمة لقيام بالاعمال العادية . وبناء على كون الطعام عاملاً كبيراً في حياة الامم جعل نفر من العلماء همهم البحث فيهِ وفيما يلزم الفرد منهُ في يومهِ . فلا تكاد تتناول كتاباً من كتب علماء الصحة الا رأيت فيهِ ما يلزم الفرد كل يوم من اللحم والزبدة والمواد النشوية والنتروجينية كالرز والقطاني والقمح والبقول والاثمار الى آخر ما هنالك . حتى ليخيل الى قارئ احصاءاتهم انهُ ان لم يتناول الانسان كل يوم رطلاً من اللحم مثلاً ونصف رطل من الزبدة وبعض صاع من الرز والقمح وجانباً من التفاح والمجوز فصف في عنفوان شبابهِ . وان آكلي اللحم والزبدة هم وحدهم طوال الاعمار وآكلي البقول هم قصارها لذلك طالما سمعنا هذا العالم وذاك الاحصائي يقدران الموت العاجل للامم التي ليس اللحم قوام طعامها ويعزوان فتور الهمم في بلاد المشرق الى الاقتصار على اكل المواد النباتية الا نادراً . وينصحان لاهل الشرق بالاكثار من اكل اللحم اذا حدثتهم انفسهم بفتح الممالك وتدويخ البلدان والانتظام في اسلاك المخترعين والمكتشفين والمؤلفين . ونحن مع اعترافنا بفضل

الطعام على الامم في تربية اخلاقها وتكوين قوميتها لا يسعنا الاَّ القول بان تناول هذا اللون او ذاك من الوان الطعام يجب ان يلاحظ فيهِ الاقليم. فاهل الاصقاع المعتدلة الباردة لا غنى لهم عن المواد الدهنية للمساعدة على توليد الحرارة في ابدانهم. واهل البلاد المتجمدة لا يأكلون الاَّ اللحم والدهن. ولكن الاكثار من اكل اللحم والدهن في البلاد المعتدلة الحارة او الشديدة الحرّ مجلبة للامراض المختلفة ومقصّرٌ للاعمار. وقول علماء اوربا ان المرء يحتاج الى قدر معين من اللحم واشباههِ كل يوم ليعيش لا يصح في اهل اوربا انفسهم — اذ كم من فقير فيهم لا يأكل اللحم مرة في الاسبوع وربما عمَّر قرنًا والمتأنق في طعامهِ والمجيد لمطابخهِ يموت شابًّا او كهلاً — فما بالك بالشرقي ابن البلاد الحارة. ولقد صدق ابو الطيب حيث قال

يموت راعي الضأن في جهلهِ ميتة جالينوس في طبّهِ
وربما زاد على عمرهِ وزاد في الامن على سربهِ

فعلو الهمة في صدر امة من الامم متوقف على اليمها اي مركزها من عروض هذه الكرة فاعظم الناس همة هم اهل البلاد المعتدلة المائلة الى البرد يليهم اهل البلاد المعتدلة المائلة الى الحرّ. اما اهل البلاد الشديدة القر كالاسكيمو او الشديدة الحرّ كالزنوج فلا عزم عندهم ولا اقدام.

وربما كانت مسئلة الطعام من اعظم عثرات الاستعمار الاوربي لبلاد الشرق. فان المستعمرين الاوربيين الذين اعتادوا الاكثار من اكل اللحوم في بلادهم لا يستطيعون الاقلال من اكلها بحكم العادة اذا انتقلوا للسكن في بلاد حارة. وحينئذٍ يفعل الحرّ والاكثار من اكل اللحوم فعلهُ الهادم لابدانهم المخرّب لصحتهم. وزد على هذا وذاك ان انتصار الشرقي على المآكل النباتية الرخيصة الثمن يجعل مزاحمة الغربي لهُ في اعمالهِ صعبة وخصوصاً طبقة العمال. فان العامل الشرقي يقنع باجرة لا يرضاها الغربي وبطعام لا يكفي الغربي ولا يراهُ. فالعامل الاوربي لا يستطيع مزاحمة العامل المصري الاَّ اذا كان صناع اليدين في حرفتهِ. وهذه الاعتبارات هي التي ولّدت المسئلة الاميركية الشرقية في اميركا والمسئلة الانكليزية الشرقية في مستعمرات انكلترا. فان العمال والصناع من صينيين ويابانيين وهنود اكثروا من المهاجرة الى اميركا والمستعمرات الانكليزية مثل استراليا وجنوب افريقية وكندا وجعلوا يزاحمون اهل البلاد في بعض الحرف كالتعدين والشيالة وغسل الملابس وكيها وهم يعيشون باقل منهم ويرضون اجوراً اقل من اجورهم فهبَّ الاميركيون والانكليز معترضين وافضى اعتراضهم هذا الى مشاكل صعبة الحل تفاقم امرها غير مرة بين اميركا

واليابان من جهة وبين الهند واستراليا وجنوب افريقية من جهة اخرى ولم تحل حتى الآن. فالاميركيون يطلبون التضييق على مهاجري اليابان والصين الى بلادهم. وحكومتا اليابان والصين تريان في ذلك اجحافاً على قومهما. واهل المستعمرات الانكليزية البيض يطلبون التضييق في مهاجرة الهنود الى بلادهم والهنود ينكرون ذلك ويحسبونهُ ظلماً عليهم وهم ابناء السلطنة الانكليزية

بحث كاتب اميركي في طعام اهل الولايات المتحدة وما طرأ عليهِ في السنين الاخيرة من التغيير في صفتهِ وكميتهِ وقابل بين طعام الاميركي وطعام بعض اهل الشرق فقال ان مسئلة طعام اهل اميركا مسئلة حديثة العهد. فمنذ خمسين سنة كان السمك والحمام والغزال والديك الرومي البري وطير الماء والسماني والجاموس البري كثيرة. وكذلك الاثمار برية وبستانية. وكان الطعام رخيصاً وكافياً للجميع ومتعدداً يأخذ كلٌّ منهُ ما يلائم ذوقهُ. اما الآن فقد تغير ذلك كلهُ. فطيور الصيد زالت. والاثمار عادت ولا شأن لها في طعام الاميركيين. وقد اخذ اهل البلاد يزيدون ٢٠ في المئة او اكثر كل عشر سنين حتى قصرت زيادة الطعام عن زيادة السكان. واذا دامت الزيادة على سرعتها الحالية بلغ سكان الولايات المتحدة الاميركية نحو ٥٠٠ مليون في آخر القرن الحالي. فهل تكفي ارض اميركا الزراعية حينئذٍ لاطعام ذلك العدد العديد من الناس ومساحتها لا تزيد على ثلاثة ملايين ميل مربع

نعم ان الصين والهند تخرجان من الطعام ما يكفي سكانهما وهم يعدون بمئات الملايين ولكن الصين والهند زراعيتان في الاكثر وجمهور سكانهما فلاحون. اما اميركا فمعظم زيادة سكانها حاصل في المدن لا في الاقاليم

وتدل الاحصاءات الاميركية على نقص في الصادرات ففي سنة ١٩١٢ نقصت صادرات الجبن ٨٥ في المئة عنها سنة ١٩١٠. وصادرات لحم البقر ٦٥ في المئة. ولحم الخنزير ٣٠ في المئة. والذرة ٨٠ في المئة. والقمح ٥٧ في المئة. اي ان اميركا باتت سنة ١٩١٢ اشد حاجة الى الاصناف المذكورة منها سنة ١٩١٠ فلم تصدر منها الى الخارج الاَّ على النسبة المذكورة. ولكن اميركا لا يحتمل ان تخرج من الطعام ما يكفي اهلها دائماً ولو استمرت على تقليل صادراتها. بل جعلت الآن تستورد اللحم والذرة من الخارج. وليس هناك مجال للخوف من ان يقل الطعام فيها عن حاجة سكانها في مستقبل قريب ولكن لا مناص لهم من ادخال تغيير على نوع طعامهم. ففي سنة ١٩١٠ كانت التربة تخرج نحو اردب وثلث قمحاً وستة ارادب ذرة ونحو اردب بطاطس و٤٠ رطل سكر لكل نفس من السكان. وكان في

البلاد نحو ستين مليوناً من البقر والغنم ونحو سبعين مليون خنزير ما عدا الاثمار والبقول واللبن وما يصنع منهُ والهرطمان وغيرهِ من الحبوب . وفي سنة ١٩١٢ زرع من الذرة في اميركا ما لو زرع في حقل واحد بالأوجه المانيا وفرنسا معاً . وهذا القدر من الذرة يكفي اكثر من مئتي مليون من النفوس لو اقتصروا عليهِ ولكنهم لا يأكلون منهُ الاَّ النزر اليسير

للطعام وظيفتان رئيستان في الجسم . الاولى تقديم المواد التي يبنى الجسم منها . والثانية تقديم المواد اللازمة لتوليد الحرارة الحيوانية فيهِ . وربما كانت الثانية اهم من الاولى لان قوة الجسم على العمل تتوقف عليها . والنباتات وحدها القادرة على جمع القوة المستمدة من الشمس وادخارها . فاذا اكل الحيوان من تلك النباتات تمكن من استخراج تلك القوة المذخورة فيها والانتفاع بها . مثال ذلك اذا علفت عجلاً ذرة تحوّل ٣ في المئة من القوة المذخورة في الذرة لحماً للأكل والباقي يستخدمهُ العجل في جسمهِ للاعمال والوظائف المختلفة اللازمة لتكوين اللحم . اما الخنزير فيحول ١٦ في المئة من علفهِ لحماً والبقرة الحلوب ١٨ في المئة . وهذا اسراف ظاهر من حيث انتفاع الانسان لا يبررهُ الاَّ كون اللحم واللبن الذ طعماً من الذرة

اما مساحة الولايات المتحدة فضعفا مساحة الصين او الهند فهي تستطيع لذلك ان تعول ضعفي سكان الواحدة منها او ان تعول سكان الصين والهند معاً على شرط ان يأكل الاميركي ما يأكل الصيني او الهندي عادة . وهذا يقتضي ادخال تغيير كبير على صفة طعام الاميركي

وصف بعضهم طعام الصيني الذي يأكلهُ عادة في يومهِ فقال :

« يتألف طعام الصيني من ارز مطبوخ على البخار وكرنب مسلوق في مقدار كبير من الماء . فاذا انتهى منها قضم بعض اللفت المخلل مكان الفاكهة الاَّ اذا شاء الاسراف في فاكهتهِ وحينئذٍ يشتري شيئاً من بزر البطيخ (اللبّ) الناشف . هذا طعام جمهور الصينيين لا الشحاذين ولا المدقعين بل طبقة العمال والصناع في المدن الكبرى والقرى . وجهد ما يحلمون بهِ من الاطايب اوقية او اوقيتان من اللحم يأكلونهُ في النادر مطبوخاً مع الرز والكرنب ويشربون معهُ الشاي ثم يدخنون »

ووصف آخر طعام الهنود العادي فقال : « لعلّ ثلاثة ارباع الهنود يقتاتون بحبوب السمسم او القطاني على انواعها . والرز قوام طعام الهنود في بنغال السفلى وبعض بلاد مدراس وبمباي وبرما وسيلان . وفي غيرها لا يأكلهُ الاَّ الاغنياء »

ووصف بعض قناصل اميركا في اليونان طعام الجمهور في تقرير كتبهُ سنة ١٩٠٨

فقال: « ويكون العشاء غالباً رزّاً مطبوخاً بالبقول وزيت الزيتون مع شيء من الخبز او بقولاً مطبوخة بالزيت مع شيء من الخبز . ويأكل العامل اللحم ثلاث مرار في السنة عادةً اي في عيد الميلاد والعيد الكبير وعيد مولد السيدة . وعائلة مثل التي اصفها هنا اي عائلة العامل العادي قلما ترى الزبدة والبيض واللبن واشباهها او لا تراها البتة »

ولا يخفى ان طعام الفلاحين في هذا القطر رخيص ساذج فانهم يكتفون بخبز الشعير والذرة وقلما يأدمونهُ بغير المش او السليق وقد لا يأدمونهُ بشيء ولذلك فالعامل الذي اجرتهُ ثلاثة غروش في اليوم يكتفي بها فتكفي لمعيشتهِ ومعيشة زوجتهِ وولدهِ والمرجح ان العشرة الملايين من الفلاحين ونسائهم واولادهم لا ينفقون في السنة على طعامهم ولباسهم اكثر من ثلاثين مليوناً من الجنيهات فيصيب النفس منهم اقل من غرش في اليوم والمليونان الباقيان ينفقون بقية دخل القطر وهي نحو ٤٠ مليوناً من الجنيهات

هذا وان موسم الذرة في اميركا لسنة ١٩١٢ كان يكفي ٢٣٠ مليون نسمة يعيشون عيشة العامل في الصين او الهند او غيرهما . على ان الاميركي لا يستطيب الذرة ولا يعول عليها كثيراً في طعامهِ حتى لقد شاع وذاع في اميركا ان الذرة لا تصلح طعاماً للانسان بل لبهائمهِ ومواشيهِ ولم يغير الاميركيون رأيهم فيها مع ان الحكومة الاميركية انتدبت الخبيرين لفحصها فاثبتوا في تقاريرهم انها مثل القمح في سهولة هضمها وقوتها الغذائية

وسيبقى دقيق القمح في المنزلة الاولى بين دقيق الحبوب ولكن لا مشاحة في ان دقيق الذرة سيصبح يوماً ما اكثر استعمالاً في اميركا مما هو الآن لكثرتهِ ورخص ثمنهِ وشدة الحاجة اليهِ وكونهِ ليس دون دقيق القمح في تغذيتهِ وسهولة هضمهِ ولاسيما اذا اتخذت التدابير اللازمة لتحسين طعمهِ وطبخهِ الوانًا مختلفة من الطعام . وما يقال في الذرة يقال ايضاً في الهرطان والشعير والجودار وبذر القطن والكستان . والخلاصة انهُ لا بد ان يأتي يوم يستحيل فيهِ الاميركي من رجل يعتمد على اللحم في طعامهِ الى رجل يأكل اللحم ويكثر معهُ من اكل البقول والقطاني فيقل اكل اللحم من غير ان يضر ذلك بالصحة العامة

ومع شدة عناية الانسان باكلهِ وكثرة درسهِ لطرق الغذاء والتغذية لم يوفق حتى الآن الى وصفة معينة لطعامهِ ترشدهُ في انتقاء افضل المواد اللازمة لهُ وتنفية المواد التي لا تلزم لهُ او التي تضرهُ ولكنهُ وفق الى مثل تلك الوصفات في طعام مواشيهِ وانعامهِ . وليس ببعيد ان يجيء يوم يتمكن فيهِ من وضع قاعدة لطعامهِ مثل بهائمهِ فيأكل الناس طعامهم على حسب القواعد العلمية الطبية لا كما يأكلونهُ الآن وكيفما اتفق

حرب الانسان والحشرات

ما دام الانسان على قيد الحياة فهو في حرب وجهاد يحارب احداث الجو وتقلبات العناصر · واعدى اعدائهِ الحشرات والمكروبات · اما المكروبات فقد اشتهر امرها في ما تبتلي بهِ الانسان من الامراض واما الحشرات فمحاربتهُ كما ترى في انواع الدود التي تعيش في الامعاء او تتلف الحقول والبساتين · وبين الحيوانات ذوات الاصداف اعداء كثيرة للانسان ولاسيما القواقع التي تتلف المزروعات · كذلك من اعدى اعدائهِ القراد الذي تبتلي بهِ الدواجن فيمتص دمها · اما العقارب فليس الضرر الذي تحدثهُ بالشيء المذكور في جنب خوف الانسان منها · ومثل ذلك يقال في الحريش (ام اربع واربعين) السامة

وهذه الحشرات تختلف عن سائر الحيوانات بما بين مصالحها ومصالح الانسان من التضاد · فهي تحاربهُ بالتهام المواد التي يقتات بها او بدس السم فيها · او بمهاجمة شخصهِ · او بنقل مكروب الامراض اليهِ والى طيورهِ الاليفة وحيواناتهِ الداجنة والى البقول والخضر وسائر النباتات التي يستخدمها في معيشتهِ · وهذا الاخير هو شرّ افعالها · وبين الانسان والحشرات نزاع على سيادة الارض · وليس ببعيدٍ عن التصور ان تكون الحشرات هي الفئة المنصورة فتختار الارض من المخلوق الذي يطمح الى امتلاكها وسيادتها وتخولها جنة لهُ ولسائر انواع الاحياء البرية والبحرية التي تعاونهُ في عملهِ الا وهو جعل نظام الخليقة متوازناً سوياً

وليس ببعيد ان يكون ما نسامهُ الآن من العذاب على يد الحشرات قصاصاً لنا على ابادة حلفائنا الاصداء من الطيور والزحافات التي كانت معيشتها قائمة بالتهام الحشرات · فالانسان يجني الآن ثمرة ما زرع ويدفع غرامة ما افسد اذ يرى تفشي الامراض التي تحدثها المكروبات وتناقص طعامهِ الحيواني والنباتي وما لذلك من سبب سوى ثورة عالم الحشرات وحركة المكروبات التي تحملها في امعائها وافواهها وعلى قوائمها وظهورها ثم تدسها في جلد الانسان ومعدتهِ او دمهِ او ابدان طيورهِ وانعامهِ او اثمار النبات التي يتخذها طعاماً لهُ واداماً

وقد بدأ الانسان يدرك الخطر الناشيء عن الذباب والجراد والبق والقراد والبعوض منذ العصر الحجري واوائل العصر المعدني وكأنهُ كان يخاف حينئذٍ بالسليقة المكروبات غير المنظورة التي لم يتمكن من رؤيتها حتى القرن السابع عشر ولا اتيح لنا فهم ماهيتها حتى اوائل القرن الحالي · وهذا الاعتقاد الغريزي بوجود المكروبات وتفشي امراضها هو ولا

شك اساس القوانين التي وضعها الآريون البيض عند غزوتهم للهند . فانهم اجتنبوا من القبائل السود التي اثروا ليحكموها وطلبوا البعد عنها خوفاً من انتقال جراثيم الامراض منها اليهم . وليس ببعيد ان تكون شدة تمسك البراهمة قديماً بهذه القوانين هي التي حفظت لهم صحتهم فعاشوا واثروا وان يكن نسلهم من اهل الهند الحديثة قد انفقوا جهدهم سدى مقاومة المساعي التي بذلت لابادة الامراض برغمهم تصديق ما يقال عن عدواها والاشتراك في التدابير الصحية التي تضعها الحكومة للقضاء على الكولرا والطاعون والحميات

وان الابحاث التي جرت في ايطاليا والهند وفرنسا وانكلترا والمانيا واميركا في العقدين الاخيرين من القرن الماضي على مثال ابحاث پاستور برهنت على ان الحشرات هي سبب كثير من الادواء التي تصيب الانسان وسائر الحيوان وبينت لنا طرق اجتناب تلك الادواء وهي اما اهلاك الحشرات التي تنقلها او اجتنابها . وقد نشر حديثاً كتاب بالانكليزية بعنوان « الحشرات والانسان » من قلم المستر إيلند خص فيه اسباب الامراض التي تنقلها الحشرات وتتائجها والاضرار الهائلة التي تحدثها . وابان وجوب انتظام الناس طرّاً في الحرب التادمة — حرب لا تقام بين الانسان واخيه الانسان بل بين الانسان والحشرات وتكون حرباً عوانا تفصل في المسائل الآتية : هل يكون الحيوان ذو الفقار وذو المنزلة العليا في الخليقة حاكم هذه البسيطة او الحشرات التي لا فقار لها ؟ وهل يكون سيد الارض نملةً او بقةً او زنبوراً او قرادة او برغوثاً ام يكون سيدها هذا الحيوان الناطق الذي يرصد النجوم ويزن الشموس وقد بلغ السبع الطباق واتصل بعالم ما وراء الطبيعة . ونحن نرجو ان يكون الانسان هو المنصور في تلك الحرب ولكنهُ انما ينتصر بجمع قواهُ كلها واستخدام جميع موارده ومصادره في تلك المهمة ألا وهي ابادة الحشرات التي تنقل الامراض ثم ابادة المكروبات التي لا غاية لها من الحياة الاّ ان تعيد الحي جماداً

وبعض هذه الحشرات يحمل عدوى الامراض ويبثها في دم الانسان فانها هي نفسها تُعدى اولاً اما بامتصاص دم انسان مريض او حيوان او طائر او زحافة واما ان تأخذ جراثيم العدوى من الزبل او النباتات الفاسدة او الماء الملوث او غير ذلك . وهذه الجراثيم قد تقضي دوراً من عمرها في امعاء الحشرة او في غددها اللعابية والحشرة تنقلها الى دم الانسان اما بوخز جلده كالبرغوث والقملة والبقة والبعوضة واما بنفثها على طعامهِ كالذبابة والخنفساء . وشرّ هذه الحشرات البرغوث على انواعهِ والبقة على انواعها ومنها بقة المكسيك التي طولها بوصة . قال دارون في وصفها « وممّا يتكمش لهُ الجلد ويقف شعر الراس لقزّاً ان تشعر

بحشرة ناعمة الملمس طولها بوصة تزحف على جلدك . فلا تمضي عشر دقائق حتى تبيت مستديرة بعد ما كانت رقيقة كالبرشانة لكثرة ما تمتص من الدم » . وكذلك القملة والبعوضة والذبابة على انواعها والنملة والقرادة والخنفساء . فاذا استطعنا بواسطة من الوسائط ان نهلك هذه الحشرات او ان نقللها قلة محسوسة فاننا نستأصل الطاعون وانواع الحمى كالصفراء والملاريا والسوداء والراجعة والدنج والبري بري والقرمزية . وربما استطعنا استئصال السرطان ايضاً . والمؤكد اننا نستأصل مرض النوم الذي يجتاح بلاداً واسعة ويبيد سكانها . وكذلك نستأصل جميع امراض البقر والغنم والخنازير والخيل والجمال والدجاج . ثم اذا حملنا على الحشرات التي تسطو على زروعنا استطعنا زيادة حاصلاتنا الزراعية مئة ضعف

ولسنا في هذه الحرب بلا حلفاء واعوان . واعظم اعواننا الطيور فالعطايات فالسمك النهري . ثم ان لنا حلفاء واصدقاء بين جموع الاعداء . فان في الحشرات فئة مهمتها ابادة غيرها من نوعها اهمها الحشرة المعروفة باسم « السيدة » في هذا القطر وهي من فصيلة الخنافس ولا عمل لها على ما يظهر الا ابادة الحشرات التي تأكل القمح في سنابله والثمر على الشجر والدخان والبطيخ في مزارعها . ومن الخنافس خنفساء اخرى من الفصيلة المسماة بالانكليزية خنافس الارض وهي من الآكلة اللحوم ومعظم طعامها الحشرات قبل تفقيسها . وكثيراً ما تفضل اناث الحشرات على ذكورها فتهلك بقضمة واحدة ام الوف من الحشرات المؤذية الضارة

والفصيلة المسماة Hymenoptera اي الغشائية الجناح كثيرة النفع للناس . ومن حشراتها النحل والزنابير والنمل . ومنها نحل يسطو في اواسط افريقية على بعض فصائل الخنافس والفراش والنمل والذباب والجراد المضرة فيفتك بها ويستأصلها . وترى رجال الزراعة الاميركية يطلبون هذه الحشرة النافعة في اسيا وجنوب اوربا وشمال افريقية ويحملونها بمزيد العناية الى حقول اميركا الشمالية والوسطى ويطلقونها على الحشرات التي تفتك بالقطن والتفاح والبرتقال والخوخ والقصب والدخان والحنطة والكرم

ومن رأي السر هري جونستون الذي لخصنا عنهُ ما تقدم ان يعلَّم الاولاد في جميع البلاد علم طبائع الحشرات والقراد وان يُدلوا على الحشرات التي يجب اجتنابها او قتلها والحشرات التي يجب استحياؤها لانها اعداء اعدائنا . فان الاولاد ميّالون حيثما كانوا الى قتل النحلة خوف لسعها وفضلها على الزراعة مشهور لانها تنقل اللقاح من نبت الى نبت فتلقح الاشجار بثمارها . فليعلم الاولاد علم طبائع الحشرات بدل هندسة اقليدس وليلقنوا مبادئ

علوم الحيوان والنبات والكيمياء بدل قضايا الجبر العويصة التي لا يحتاج اليها الاَّ الذكي والرياضي . وليحرم حرث الارض على كل فلاح لا يجوز الامتحان في مبادىء علم التعجين الحيواني وفي الامراض التي تنشأ عن زبل الزرائب وعواقبها وفي فائدة ذلك الزبل للارض وضررهِ اذا بقي مكانهُ يفوح الطعام الذي تأكلهُ والماء واللبن اللذين تشربهما

وكلُّ حكومة تسنّ القوانين الشديدة لمعاقبة الذين يقتلون الطيور الآكلة للحشرات المضرة تحسن عملاً . فان اكل الطيور والتزين بريشها حلال الاَّ اذا ثبت ان وجودها على قيد الحياة يدفع عن الانسان غرماً لا يذكر في جنبهِ الغنم الذي يجدهُ من التلذذ بلحمها والتباهي بريشها فقتلها والحالة هذه حرام

فعل الجرذان في الحروب

بعث مراسل احدى الصحف الانكليزية برسالة الى جريدتهِ من ميدان القتال الغربي غريبة في بابها لم ينسج على منوالها ولكنهُ قال وأكد انهُ على بينة مما قال : والى القراء مآل رسالتهِ

في ليلة صفا اديمها وسطع قمرها كنت اراقب البطاح والسهول المترامية امامي فابصرت على قرب مني جرذاً مقطوع الذيل قد صلت اذناهُ وبرز حنكهُ رأيتهُ يتاصص بحذر واحتراس كأن قصف المدافع وانفجار القنابل في تلك الارجاء قد ارعب حتى قلوب جراء الحيوان . ولم تكن الاَّ ثوان حتى اوغل في الادغال وجعل يبحث قلقاً حائراً فادركت انهُ يريد ورود الماء فان علماء الطبيعة يقولون ان الجرذان ترد الماء ولو ابهم عليها كل سبيل او لقيت حتفها لانهُ اذا مضى عليها اربع وعشرون ساعة من غير ان تنقع غلتها وتروي ظمأها ماتت لا محالة

وبينما الجرذ على هذه الحال اقبل يوم وقد ازعج ذلك الليل بنعيبهِ فلما سمع الجرذ صوتهُ عرتهُ رعشة ورعدة وقد رأى عيني اليومة الحمراوين تحدقان فيهِ فدبَّ واختبأ تحت عربة مدفع مقلوبة وجمد في مكانهِ اكثر منها

ولما لم تسمع البومة صوتاً طارت لا تلوي على شيء وانصرف الجرذ من مخبإهِ غير مصدق بالنجاة وما زال يصدو حتى دنا من باب كنيسة دمرت القنابل جانباً منها فانقض رأسهُ وما عتم حتى دخلها مسرعاً ولسان حالهِ يقول الماء الماء إما ان اجد ماء واروي ظمإي او اقضي نحبي في نهاية هذه الرواية

مضت عشر دقائق واذا الجرذ في قبة جرس الكنيسة فان حاسة الشم القوية فيه افهمته ان هناك انسانًا والجرذ يعلم بغريزته انهُ حيث يكون الانسان فهناك طعام وماء . دنت الساعة فارتاع الجرذ ووقف مبهوتًا ولما لم يرَ احدًا هدأ روعهُ وجعل يشتمّ بانفهِ ويتلمس بشاربيهِ حتى اهتدى الى ثلاثة اوعية مملوءة ماء واكتشف رجلاً مرتديًا ملابس راعٍ واستدل من شخيرهِ انهُ في سبات عميق فلم يبالِ بهِ

رؤي هذا الجرذ بعد خمس دقائق خارجًا من باب الكنيسة وهو ينفض عن شاربيهِ قطرات الماء وهيأتهُ تدل على النشاط والانتعاش . لم يقف ولا التفت الى شيء بل سار عاديًا الى حيث الانقاض والاطلال

***

قبل انبثاق الفجر بساعة بينما القمر فوق قمة تلة وقد اوشك ان يتوارى وراءها وكل شيء ساكن حتى مدافع الالمان عاد الجرذ وخلفهُ جيش من اخوانهِ . لم تكن الا ثوانٍ حتى ماجت ساحة الكنيسة بهذا الجيش العرمرم وكان لدبيب ارجلها حفيف كحفيف الشجر . رأيت مئات من عيونها تقذف نورًا ثم تحجب كأنها شرار يتطاير فوق الارض . ثم ساد السكون وسمع قائد الجرذان (او صاحب الحكاية) يصوت كأنهُ يصدر امرًا . واذ تجلى منظر مخيف كان نهرًا عكرًا يجري متدفقًا الى باب الكنيسة

كنت اسمع للجرذان اصواتًا غريبة وهي داخلة الى الكنيسة وصاعدة على سلّم القبة تقشعرّ منها الابدان . ظلّت كذلك حتى دنت من آنية الماء غير مبالية بالنائم لانها لم تكن تطلب حينئذٍ غير الماء فشربت كل قطرة منهُ

***

لما طلع الفجر نهض الراعي واذا الدم يسيل من عنقهِ ويديهِ ووجههِ فصرخ مذعورًا ورأى الارض حولهُ تموج وتتحرك ولما سمعت الجرذان صوتهُ اجفلت ولاذت بالفرار خارجة من باب الكنيسة الى ساحتها ومنها الى ارض الله الواسعة

***

في صباح ذلك اليوم احاطت الجنود البريطانية بالكنيسة وجعلت تخندق الارض حولها وتقيم الاستحكامات وتنصب المدافع بلا منازع ولا مقاوم ظلت كذلك ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع جعل الالمان المعسكرون على التلال البعيدة يطلقون مدافعهم الضخمة على تلك الجهة وكان ضباطهم يضعون نظارتهم المكبرة على عيونهم ناظرين الى قبة الكنيسة ومراقبين

عقارب ساعتها الكبيرة لعلهم يرونها تدور متحركة حركات منتظمة عليها فيسترشدوا بها الى مواقع المدافع البريطانية المخبأة وكانوا لما اطلقوا مدافعهم لاول مرة ينتظرون ان تخبرهم تلك الساعة هل هم يصيبون الهدف او لا يصيبونهُ . ولما تبيَّنوا ان عقربي الساعة لا يزالان جامدين قالوا قاتل الله ذلك الراعي أأسلم نفسهُ الى الانكليز ام هو نائم ام هو خائن ؟ ماذا جرى يا ترى ؟ لقد زوَّدناهُ بالشيء الكثير من الزاد والماء لما اختبأ هناك ولكن عقربي الساعة لم يتحركا ولا رأينا لهُ اقل اشارة من قبة الكنيسة

***

في تلك الساعة انصبَّت المدافع البريطانية التي كان الانكليز قد اخفوها عن الانظار فكانت قنابلها تصيب مدافع الالمان الكبيرة وتعطلها اما الراعي فكان مثلهُ مثل فأر سقط في شرك فانهُ ظل محصوراً في قبة الكنيسة الدم يسيل منهُ والظمأ يلهب احشاءهُ حتى سُمَّ دمهُ وقضى نحبهُ دون ان يقوم بشيء من المهمة التي انتدب لها

***

قال الكاتب فليعلم القراء كيف ينتصر الحق على الباطل فقد سخَّرت الاقدار تلك الجرذان فقتلت ذلك الجاسوس الماكر وردَّت كيد الالمان في نحرهم وعلى الباغي تدور الدوائر

احد القراء

غرائب النبات

كلُّ ما في هذه الارض يدلُّ على ان الاحياء من حيوان ونبات تبغي البقاء والاَّ فما هذا التنازع بين حيوان وحيوان وبين حيوان ونبات وبين نبات ونبات . كذلك كل ما فيها يدلُّ على ان بقاء تلك الاحياء لا يدوم الى الابد على هذه البسيطة والاَّ خلقت من مادة ابقى على الدهر من مادتها الحاضرة ولكان نظام خلقها سليماً من كثير من العيوب ومن النقائص التي تجعل خلودها الآن مستحيلاً . تقول هذا ونحن نعلم ان في الناس فئة تنسب الى الخليقة الكمال في كلِّ شيء فتقول مثلاً ان جسم الانسان تامٌّ سويٌّ في نظامهِ وتركيبهِ . ولكن سل الاطباء يخبروك ان ذلك ليس كذلك . وان فيهِ من العيوب ما لو أُزيل لعمَّر اكثر مما يعمر الآن . ونقول ان نظام الفلك محكم دقيق لا يعتريهِ خلل . ولكن الفلكيين يقولون ان تكوُّن الشموس والاقمار وشمسنا وارضنا في الجملة نتيجة خلل طرأ على ذلك النظام

في سالف الدهر . ولولا امثال ذلك الخلل ما كانت الارض عرضة للادوار الجليدية التي تنتابها من حين الى آخر فتفرض جانباً كبيراً مما فيها من حيوان ونبات ثم يفارقها ذلك الدور فتعود منجماً طيباً للاحياء

كان الرأي فيما مضى ان الحيوان دون النبات مختص بالشعور والاحساس لان لهُ جهازاً عصبيًّا ليس للنبات . فلذلك يجب ان يكون تنازع البقاء مقصوراً عليهِ . ولكن العلماء باتوا الآن اكثر تردداً مما كانوا في الجزم بهذه المسئلة . يقولون وما ادرانا ان لا يكون للنبات شعور كالحيوان . والاَّ فما هذا الذي نراهُ منهُ مما لا يعلل ولا يفسَّر الاَّ بكونهِ حيًّا شاعراً . نراهُ يلجأ الى وسائل للدفاع عن نفسهِ وحفظ كيانهِ ليست الاَّ للحيوانات ذوات الاعصاب . ولم يقتصر في حرب البقاء هذه على الدفاع بل قد يتجاوزهُ الى الهجوم . حتى لقد انشأت احدى الصحف العلمية الشهيرة بالامس مقالة جعلت عنوانها « هل النبات قاسٍ لا يرحم » وذكرت امثلة على تعذيبهِ للهوام وغيرها من انواع الحيوان . وقبل ذكر هذه الامثلة نذكر امثلة اخرى على ما يفعلهُ النبات في سبيل حماية بزورهِ واثمارهِ

خذ الخوخ والمشمش والكرز والتفاح وغيرها من الاثمار ترها قبل نضجها اي قبل قضاء عمرها المكتوب لها حامضة الطعم جدًّا وهذه الحموضة تقيها شرَّ اعتداء معتدٍ عليها قبل اوانها . ثم ان البزرة في بعضها مدفونة في قشرة صلبة دون الوصول اليها جهد وتعب . وبعد ذلك الجهد وذلك التعب كثيراً ما تكون البزرة مرة لا تؤكل كبزر الخوخ او حاوية لمادة سامة كبزر المشمش المر . واللباب اما ان يكون محميًّا بقشرة صلبة كاللوز والبندق والفستق واما ان يكون محميًّا بقشرة صلبة فوقها طبقة مرة عفصة الطعم كالجوز

ومن النبات ما يحمي بزورهُ بحركات غريبة يأتيها . وواقع الامر ان النباتات اكثر حركة مما يظن عادة بل هي في حركة دائمة . ولكن انتقالها من مكانها بطيء على الغالب الى حدّ ان لا يلتفت اليها ولا ينتبه لها اما بعض اصناف النبات فليست كذلك . فان النبات المعروف بالسنط الحسَّاس تنغض اوراقهُ او تتدلى اذا مسَّ . ومنهُ فصيلة ترى اوراقها في صعود ونزول طول النهار واخرى اوراقها في دوران دائم . ومن النبات ما تنام اوراقهُ كاكثر انواع السنط . فاذا اقبل الليل غيرت اماكنها وانطوت من نفسها فيقلُّ بذلك سطحها المعرَّض للاشعاع وبالتالي خروج الحرارة منها فتوقى من البرد . وقد اثبت دارون بالامتحان ان الاوراق التي لا تتحرك تذاق عذاب البرد اكثر من الاوراق المتحركة . والازهار تنام كذلك . فالازهار التي يتوقف تلقيحها على الحشرات والهوام النهارية كالنحل تنام ليلاً وتستيقظ نهاراً . والتي

النية على تربيته تربية فرنسوية ولكنهُ لم يكد يتعلم الفرنسوية حتى ذهب الى انكلترا ودخل الجيش فكان فيهِ عزوفاً لرفاقهِ بسبب غرابة سلوكهِ ولهجتهِ الفرنسوية . فسئم الخدمة العسكرية فباع بعض املاكهِ وكان ذا ثروة طائلة وسافر الى اميركا الجنوبية كما تقدم فباع ريوجنيرو سالمًا سنة ١٨٥٤ . وفي ابريل من تلك السنة ركب باخرة اسمها « بلاً » فغرقت بهِ وبسائر من كان فيها . وكان مؤمنًا على حياتهِ فاخذ اهلهُ المبلغ المؤمن بهِ عليهِ وفصلت المحكمة في امر تركتهِ في يوليو سنة ١٨٥٥ فورث اخوهُ الاصغر املاكهُ ولقبهُ وهو لقب صر سنة ١٨٦٢ ثم مات سنة ١٨٦٦ واسمهُ السر الفرد تشبورن

لم يبق احد الاَّ اعتقد بغرق روجر غير امهِ حتى بات منزلها في تشبورن بارك موئل كل بحري اتفق يزورها فيلقى منها صدراً رحباً لعلهُ يكون ابنها او يقص عليها اخبار رحلاتهِ لعلها تتسلم منها نبأً عنهُ واكثرت من نشر الاعلانات في الصحف تصفهُ عسى ان يدلها احد عليهِ و يرشدها الى مكانهِ . وفي نوفمبر من سنة ١٨٦٥ اجاءها من سدني في استراليا ان في قرية واجاواجا بقاطعة كوينسلند جزاراً شابًّا تطابق اوصافهُ اوصاف ابنها واسمهُ هناك طوم كاسترو . والواقع انهُ لم يكن يشبههُ فان روجر كان خفيف البنية ذا شعر اسود ساج في حين ان كاسترو الجزار كان ضخم البدن ذا شعر متموج اشهب . وكان اول كتاب ارسلهُ الى اللايدي تشبورن (التي ادعى انها امهُ) دليلاً على جهلهِ واميتهِ وقد اشار فيهِ الى امور شتى اعترفت بانها لا تذكرها واهمها علامة في جسمهِ ظهرت فيهِ منذ ولادتهِ وحادثة جرت لهُ في بريطون في صغرهِ . ولكنها كانت كمن بهِ مس من السحر لا يحول في صدرها الاَّ خاطر ابنها حتى غلب ذلك الخاطر شبهاتها في شخصية كاسترو فارسلت اليهِ نقوداً وطلبت منهُ ان يجيء الى انكلترا

اما هو فابى السفر ولكن كان قد التف بهِ نفر من الطفيليين كسائر الادعياء يعدون انفسهم بكل خير ونعمة اذا ربحوا القضية فاقنعوهُ بالسفر وزادهُ اقتناعًا ان رجلاً من اصدقاء السر جيمس تشبورن ابي روجر مقيماً في سدني كان يعتقد بصدق مدعاهُ لما بينهُ وبين ابي روجر من الشبه . وتعرَّف وهو في سدني بعبد اسود اسمهُ « بوجل » كان في خدمة اسرة تشبورن فسافر هذا معهُ الى انكلترا في صيف سنة ١٨٦٦ . فبلغا لندن يوم عيد الميلاد من تلك السنة فزار منزل اسرة تشبورن حيث تعرف برجلين نصراهُ في دعواهُ وهما ادورد هوبكنس محامي الاسرة وفرنسيس بايجنت وكان مطلعًا تمام الاطلاع على تاريخ الاسرة . ثم سافر الى باريس حيث زار اللادي تشبورن « امهُ » المزعومة وكانت زيارتهُ

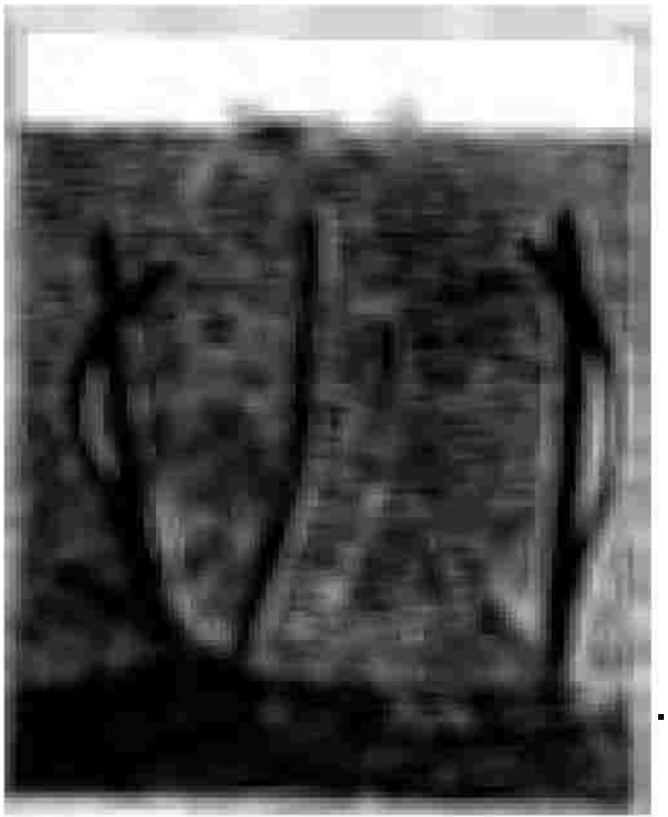

زنبق مائي ب الزهرة الانثى ت الذكر و ج ذرات اللقاح

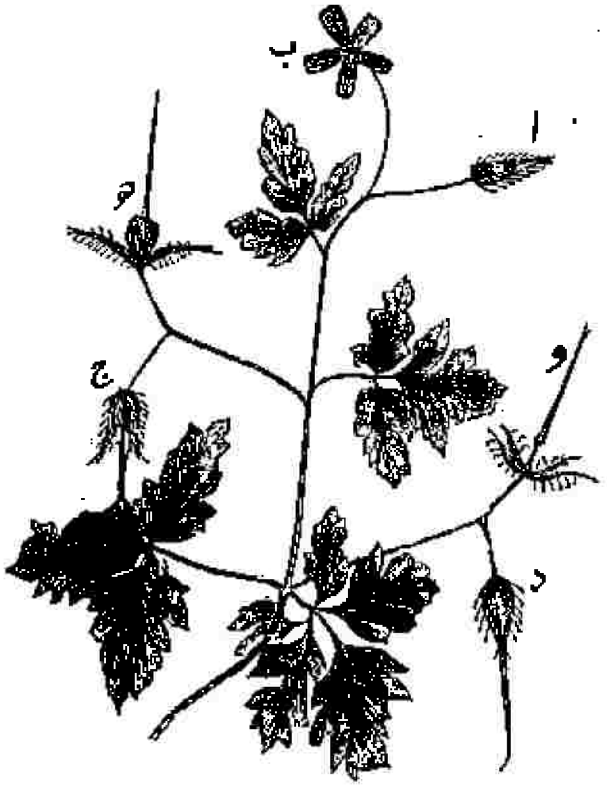

الجرانيوم (ابرة الراعي)

المقتطف صفحة ٢٥٤ مجلد ٤٧

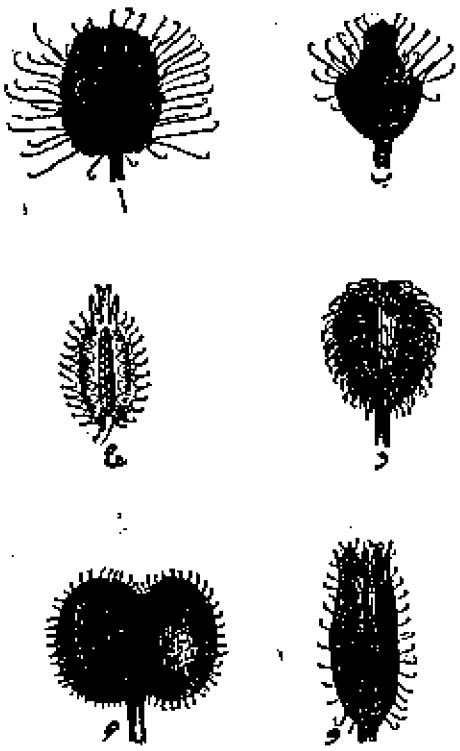

بزور من انواع الحسك التي تعلق بصوف الغنم

بزور لغلافها اشواك وصنانير تعلق بها

نبات طفيلي عالق بغصن شجرة

المقتطف صفحة ٢٥٥ مجلد ٤٧

على ان من النبات ما لا يدفع بزوره من نفسه الى مسافة بعيدة بل يكل ذلك الى الرياح الهابة كالخشخاش فان في اعلى غلافه فتحات صغيرة تفلت منها البزور واحدة واحدة اذا هبت الريح وتلاعبت بالغلاف وجعلت تميله الى هنا والى هناك . والفتحات محمية من المطر بمثل اروقة ممتدة فوقها . ويقال انها تنغلق اذا غزرت الامطار

ومن النبات ما يعرف باسم « ورد اريحا » وهو كثير في صحارى مصر وسورية والعربية فاذا جفت ازهاره انقلع من الارض وانطوى على نفسه فتألف منه جسم كروي تسوقه الريح حتى يصيب تربة رطبة وحينئذٍ ينشر من نفسه ويزرع بزوره في التربة

ومن دقق النظر في بزر الارز مثلاً وجد فيه شيئاً شبيه المروحة او الجناح فاذا كانت الريح هابة وهو يتساقط الى الارض حملته الى مكان بعيد عن جذع الشجرة التي تساقط منها . وهذا ما يحدث ايضاً في اشجار اخرى كالتيقب والدردار والشربين مثلاً

ومن النبات ما تجهز اثماره بشوك اعقف او شعر على اشكال مختلفة كما ترى في بزور الحسك فتعلق بشعر الحيوانات ذوات الصوف وتنتقل بذلك من مكان الى مكان او باهداب طويلة كبزر شوك الجمال والقطن . وكذلك بين النبات اصناف تجهز اثمارها باشياء كالصنارة والكلاّبة فاذا علقت بشعر حيوان او جلده صعب نزعها منه ويقال ان بعضها يقتل الاسد في سهول جنوب افريقية . ذلك ان الرياح تقاذفها في تلك السهول فاذا اصابت جلد اسد حاول نزعها بفيه فتعلق به وتميته شر ميتة

ومن النبات نوع طفيلي تتصل بزوره اذيال كالاسلاك الشائكة تعصف بها الرياح فتنقلها من مكان الى آخر فتعلق باغصان الاشجار وتلقي البزور عليها فتنمو فيها وتغتذي منها

والمشهور ان جوز النارجيل او جوز الهند تطفو على وجه الماء فيحملها الى مسافات بعيدة لتقدر بمئات الاميال مستعيناً على حملها دفعها بما يعطيها من الالياف . ثم ان قشرتها الصلبة تحول دون تخلّب الماء اليها وافسادها . وكثيراً ما توجد على سواحل اوربا الشمالية الغربية بزور النباتات التي تنمو في جزر الهند الغربية . ذلك بان التيار المائي المعروف بتيار الخليج (اي خليج مكسيكو) يحملها الى تلك السواحل فتنمو فيها على الغالب . ويساعدها على العوم خلايا فيها تمتلئ هواء

ومن اغرب اصناف النبات ما يتخذ غلاف بزوره اشكال بعض الحشرات كما ترى في بزر اللوبياء المرقشة وبزر الخروع وبعضها يتخذ صورة الحشرة المعروفة باسم الحريش (ام اربع وار بعين) واخر يتخذ صورة دودة

وسنأتي في مقال تالٍ على ذكر بعض النباتات الآكلة للحيوان وامثلة تعذيبها اياه على ما اشرنا في صدر هذه المقالة

قوانين الحياد وغير المحاربين

اشار المستر روزفلت رئيس اميركا السابق في مقالته المنشورة في هذا الجزء الى اتفاق مؤتمر الهاي وقوانين الحياد التي وافقت عليها الدول . وقد رأينا ان نثبت هنا بعض ما جاء في ذلك الاتفاق مما يتعلق بقوانين الحياد ومعاملة غير المحاربين وما اشبه

جاء في الكتاب الابيض الانكليزي الذي نشرت فيه بنود الاتفاق المشار اليه ان الولايات المتحدة الاميركية هي التي اقترحت جمع مؤتمر الهاي بلسان رئيسها المستر روزفلت حيث قيل « ان مؤتمر السلم الثاني الذي اشار به اولاً رئيس الولايات المتحدة اجتمع بدعوة صاحب الجلالة امبراطور روسيا وصاحبة الجلالة ملكة هولندا في ١٥ يونيو سنة ١٩٠٧ بمدينة الهاي في قاعة الفرسان للتوسع في مبادئ المروءة التي كانت اساساً لمؤتمر الاول المعقود سنة ١٨٩٩ »

وقد وقّعت اتفاق الهاي الدول التالية وهي المانيا وايران والبرتغال وبريطانيا العظمى وبلجكا وتركيا والجبل الاسود وروسيا والسرب ورومانيا وفرنسا ولكسمبرج والنمسا والمجر والولايات المتحدة واليابان . وهاك بعض البنود التي حدّدت فيها قوانين الحياد وحقوق غير المحاربين

البند الاول — لا يجوز خرق حياد البلاد المحايدة

البند الثاني — لا يجوز للمحاربين ان يسيّروا جيوشهم ولا ذخائرهم سواء كانت مواد حربية او مؤنة للجيش في بلاد دولة محايدة

البند العاشر — اذا قاومت دولة محايدة من يحاول خرق حيادها فلا تعدّ مقاومتها هذه حرباً ولو كانت بالقوة

البند السابع والعشرون — يجب اتخاذ كل الوسائط الممكنة وقت الحصار واطلاق القنابل لتجنّب المباني المخصصة للعبادة او للعلوم او للفنون او للاعمال الخيرية او المباني التاريخية والمستشفيات والاماكن التي يجمع فيها المرضى والجرحى اذا لم تستعمل في الوقت نفسه لاغراض حربية

وعلى الدولة المحصورة ان تضع على تلك المباني والاماكن علامة واضحة تميزها عن غيرها يعلن عنها للعدو قبيل ذلك

البند الثامن والعشرون — يمنع نهب المدن والقرى ولو فتحت عنوةً

البند الخمسون — لا يجوز ان يقاص الكنائس قصاصاً ماليًّا او غيره لاجل اعمال عملها اناس منهم (اي لا يجوز ان يؤخذ الابرياء بجريرة الاثمة)

البند الخامس والعشرون — لا يجوز اطلاق المدافع على ما كان غير محصن من المدن والقرى والمساكن والمباني

والدول الموقعة على هذا تتعهد ان تمنع رمي القذائف والمفرقعات من البلونات او باي اسلوب آخر من الاساليب الجديدة وذلك من الآن الى ان يجتمع مؤتمر السلم الثالث

ولا يجوز اطلاق المدافع من السفن الحربية على المرافئ غير المحصنة ولا على ما كان غير محصن من المدن والقرى والمساكن والمباني

ومما نهى عنهُ مؤتمر الهاي ولم يشر اليهِ المستر روزڤلت في مقالتهِ ان يحاول احد الخصمين خداع خصمهِ باستعمالهِ راية المدنة او باستعمالهِ راية خصمهِ او شعارهُ الحربي او ثياب ضباطهِ او شارات اتفاق جنيڤا . ونهى ايضاً عن اغتصاب املاك خصمهِ او اتلافها الاَّ مضطرًّا بالدواعي الحربية الضرورية

واوجب احترام العرض واملاك الافراد وعقائدهم الدينية وقال ان املاك الافراد لا يحسن استصفاؤها

وتُحترَم املاك رجال الحكومة المحليين وكذلك المعابد ومعاهد الاحسان والعلوم والفنون ولو كانت تخص الحكومة وتعامل معاملة املاك الافراد

ويحرَّم تخريب المعاهد التي من هذا القبيل والآثار التاريخية ومصنوعات العلوم والفنون ويجوز مداعاة مخربيها في محاكم القضاء

وجاء في الكلام على الالغام البحرية انهُ لا يجوز بث الالغام التي تنجرف نفسها اذا مستها سفينة الاَّ اذا بطل فعلها في ساعة من الزمان على الاكثر بعد ما يترك ملقيها التحكم فيها ولا يجوز وضع الالغام المقيَّدة التي لا يبطل فعلها حالما تفلت من قيدها

واذا وضعت الالغام المقيدة في بحر وجب اتخاذ كل التدابير لمنع اضرارها بالسفن المحايدة . ويجب على المحاربين ان يبذلوا كل ما في وسعهم حتى يمتنع ضرر هذه الالغام بعد مدة معينة واذا اقتنت من يدهم فعليهم ان يبينوا منطقة الخطر التي انتشرت فيها حالما تسمح الحركات الحربية بذلك ويعلموها لرجال البحرية وسائر الحكومات

وجاء في الكلام على المتاجرة مع المتحاربين انهُ لا يجوز لحكومة محايدة ان تعطي سفناً حربية او مبرة او اسلحة مهما كانت للدول المحاربة

لا تجبر الحكومة المحايدة على منع الدول المتحاربة من ان تستورد منها او تمر فيها الاسلحة والميرة وكل ما يمكن استعمالهُ في الحرب برًّا وبحرًا . ولكن يجب على الحكومة المحايدة ان تبذل ما في وسعها لمنع ما يمكن ان يستعمل في مياهها وطرقها لمقاومة هذا الحق المخوَّل لها انتهى

فاذا اراد سكان الولايات المتحدة ان يصدروا القنابل الى المانيا فلا تجبر حكومتهم على منعهم واذا حاولت انكلترا ان تمنعهم من اصدار القنابل الى المانيا بحصر موانيهم وجب على حكومة الولايات المتحدة ان تقاومها بكل جهدها وكذا لو اراد سكان الولايات المتحدة ان يرسلوا القنابل الى انكلترا وحاولت المانيا ان تصدهم عن ذلك فانهُ يجب على حكومة الولايات المتحدة حينئذٍ ان تقاومها بكل جهدها

واذا شاءت حكومة البلغار ان تجتاز الاسلحة في بلادها من المانيا الى تركيا فلا حق لدولة من الدول ان تمنعها من ذلك ولكن اذا لم تشأ ان تمر الاسلحة في بلادها فلا حق لدولة ان تجبرها على ذلك

ولكن الظاهر ان قوانين مؤتمرات السلم مثل وصفات بعض الاطباء التي يقال فيها « اقرأ تفرح جرب تحزن » . والحق للقوة ورحم الله ابا تمام حيث قال

السيف اصدق انباءً من الكتب في حدهِ الحد بين الجد واللعبِ

هذا وقد نشرنا سنة ١٩٠٥ اقوال بعض العظماء في مل يسود السلام على المسكونة ومهدنا لها التمهيد التالي وهو

« لم تمرَّ بالانسان حقبة من التاريخ الأ سمعنا لهُ سعيًا في ابطال الحرب وتعزيز السلم ثم لم يكن بطول بسعيهِ المطال حتى كان يعودهُ بصفقة الخاسر إمَّا لأن الحرب سنَّة طبيعية لا يمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لأنهُ لم يأنِ الاوان لتأييد ملك السلام . وآخر ما اتاهُ الانسان من تلك المساعي واعظمهُ سعيُ قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام و يوجب على الدول المشتركة فيهِ إبطال المعدات الحربية وفصل كل خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم . فعُقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أُسمي مضغة في الافواه حتى سمَّى بعضهم السلام الذي قرَّرهُ بالسلام المسلَّح استهزاء . وكأنهُ قُدِّر لابن آدم الشقاء والبلاء فلكي لا يجرأ فيها بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها قيصر الروس نفسهُ الى غمارها فلبى مكرهًا او مختارًا وحكَّم الحسام بدل الكلام فكان من امرهِ مع اليابان ما كان »

خسائر هذه الحرب من النفوس

لم يذكر التاريخ انهُ اشتبك في حرب من الحروب ملايين من الجنود كما اشتبك في هذه الحرب . ولا خطر على بال احد حتى من واضعي الروايات الحربية انهُ يحتمل ان تثار حرب عامة في البر والبحر والهواء ويطلق فيها من القنابل ما اطلق في هذه الحرب او يصاب بها من النفوس ما اصيب في هذه الحرب فقد قال المستر اسكوث رئيس وزراء انكلترا ان خسائر الانكليز من النفوس في هذه الحرب بلغت ٣٣٠ الفاً بين قتيل وجريح ومفقود (اي اسير او تائه) وهم ٩١٠٦ من رجال البحرية حتى ٢٠ يوليو و ٣٢١ ٨٨٩ من الجنود البرية حتى ١٨ يوليو كما ترى في الجداول التالية

خسائر البحرية

	ضباط	انفار	الجملة
القتلى	٤٩٩	٧٤٣٠	٧٩٢٩
الجرحى	٠٨٧	٠٧٨٧	٠٨٧٤
المفقودون	٠٢٩	٠٢٧٤	٠٣٠٣
المجموع	٦١٥	٨٤٩١	٩١٠٦

خسائر الحربية اي الجنود البرية

		ضباط	انفار	الجملة
في فرنسا	القتلى	٣٢٨٨	٠٤٨٠٣٧٢	٠٥١٦٦٠
	الجرحى	٦٨٠٣	١٥٦٣٠٨	١٦٣١١٠
	المفقودون	١١٦٣	٠٥٠٩٦٩	٠٥٢١٣٢
	المجموع	١١٢٥٤	٢٥٥٦٤٩	٢٦٦٩٠٣
في الدردنيل	القتلى	٠٥٦٧	٧٥٦٧	٠٨١٣٤
	الجرحى	١٣٧٩	٢٨٦٣٥	٣٠١١٤
	المفقودون	٠١٩٨	١٠٨٩٢	١١٠٩٠
	المجموع	٢١٤٤	٤٧٠٩٤	٤٩٢٣٨

		ضباط	انفار	الجملة
في سائر الاماكن ماعدا الجنوب الغربي من افريقية الالمانية	القتلى	١٤٥	١٤٤٥	١٥٩٠
	الجرحى	٢٤٨	٣٢٤٧	٣٤٩٥
	المفقودون	٠٢٢	٠٩٤١	٠٦٦٣
	المجموع	٤١٥	٥٣٣٣	٥٧٤٨

مجموع كل ما تقدم

		ضباط	انفار	الجملة
خسائر البرية	قتلى	٤٠٠٠	٥٧٣٨٤	٦١٣٨٤
	جرحى	٨٤٣٠	١٨٨١٩٠	١٩٦٦٢٠
	مفقودون	١٣٨٣	٠٦٢٥٠٢	٠٦٣٨٨٥
المجموع		١٣٨١٣	٣٠٨٠٧٦	٣٢١٨٨٩
وخسائر البحرية كما تقدم		٠٠٦١٥	٠٠٨٤٩١	٠٠٩١٠٦
المجموع الكلي		١٤٤٢٨	٣١٦٥٦٧	٣٣٠٩٩٥

ونشرت جريدة الديلي ميل في ٢٦ يوليو الماضي مجموع خسائر المانيا والنمسا وتركيا حتى ٣٠ يونيو من القتلى والجرحى والمفقودين وهي كما هذا الجدول

	القتلى	الجرحى	المفقودون	المجموع
المانيا	١٦٣٦٠٠٠	١٨٨٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠	٤٠٠٦٠٠٠
النمسا	١٧١٠٠٠٠	١٨٨٥٠٠٠	٨١٠٠٠٠	٤٤٠٥٠٠٠
تركيا	١١٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	٩٥٠٠٠	٣٤٥٠٠٠
المجموع	٣٤٥٦٠٠٠	٣٩٠٥٠٠٠	١٣٩٥٠٠٠	٨٧٥٠٠٠٠

ولا تُعلم خسائر الروس ولكن المرجح عندنا انها تزيد على خسائر النمسويين فتبلغ ١٨٠٠٠٠٠٠ من القتلى و ٢٠٠٠٠٠٠ من الجرحى و ١٠٠٠٠٠٠ من المفقودين والجملة اربعة ملايين وثمانمئة الف

اما فرنسا فقد جاء في تقرير غير رسمي ان خسارتها بلغت حتى ٣١ مايو الماضي ٤٠٠٠٠٠٠ من القتلى و ٧٠٠٠٠٠٠ من الجرحى و ٣٠٠٠٠٠٠ من المفقودين والجملة ١٤٠٠٠٠٠٠

فاذا صحّ ما تقدم واضفنا اليهِ خسائر هذه الدول حتى ١٢ اغسطس يوم كتابة هذه السطور بلغت خسائرهنّ بوجه التقريب ما في هذا الجدول

	القتلى	الجرحى	المفقودون	المجموع
المانيا	١٨٠٠٠٠٠٠	٢٠٥٠٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠٠	٤٤٠٠٠٠٠٠
النمسا	١٩٠٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠٠٠
تركيا	١٢٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٣٧٠٠٠٠٠
المجموع	٣٨٢٠٠٠٠٠	٤٣٠٠٠٠٠٠	١٥٥٠٠٠٠٠	٩٦٧٠٠٠٠٠
روسيا	١٩٨٠٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠٠	٥٢٨٠٠٠٠٠
فرنسا	٥٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠	٣٦٠٠٠٠٠	١٧١٠٠٠٠٠
انكلترا	٧٥٠٠٠	٢١٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٣٥٥٠٠٠٠
	٢٥٥٥٠٠٠٠	٣٢٦٠٠٠٠٠	١٥٣٠٠٠٠٠	٧٣٤٥٠٠٠٠

ويجب ان يضاف الى خسائر الحلفاء ما خسرتهُ بلجكا وصربيا من القتلى والجرحى والمفقودين والمرجح عندنا ان ذلك كلهُ لا يجعل عدد القتلى من الحلفاء اكثر من ٢٧٠٠٠٠٠٠ وقد تقدم ان عدد القتلى من المانيا وحليفتيها ٣٨٢٠٠٠٠٠ فالجملة ٦٥٠٠٠٠٠٠ ستة ملايين وخمس مئة الف نفس من الرجال بل من نخبة الرجال قتلوا في سنة وبضعة ايام . فكم من والدة ثكلت وكم من زوجة ترملت وولد تيتّم وبيت خرب وعائلة انقطع نسلها . وكم هي الخسائر في الاموال والارزاق مَن يحصيها وهي تعدُّ بالوف الملايين . ولماذا هذا الاسراف في النفوس والعروض . لا لوم على مَن يدافع عن دمهِ وعرضهِ وبلدهِ ولكن ما عذرُ من يبادئ بالعدوان ويقضي السنين وهو يستعد للفتك بغيرهِ لا للدفاع عن نفسهِ . هل يعوز اهالي اوربا هؤلاء الطعام والشراب . هل يعوزهم الإواء والكساء . الم يتوفّر لهم ذلك كلهُ وكل وسائل الراحة والرفاهة والتعليم والتهذيب . نعم ان بينهم فئة كبيرة لا تزال تكدُّ وتكدح في طلب الرزق وتجشم المشاق في الحصول عليهِ ولكن هذه الفئة لم تثر الحرب ولا ناقة لها فيها ولا جمل وانما الذين اوقدوا نارها رجال شبعوا من الملاذ حتى التخموا واوجسوا من الاشتراكية ان تثل عروشهم فاسكروها بشرب الدماء حتى تنسى المبادئ الشريفة التي بثها اخوان المروءة وانصار الانسانية . ولقد نسيتها وامست الحرب حرب انتقام لا حرب دفاع او توسع . نعم ان الحلفاء ينادون ان الغرض الذين يرمون اليهِ انما هو سحق القوة الحربية

حتى لا تقوم لها قائمة بعد الآن فيتمتّع الناس بالسلم الذي يسعى فضلاؤهم اليهِ ولكن هل يحتمل ان يتمّ هذا السحق ولا تتمكن بهِ العداوات والضغائن من النفوس وتخبو النار تحت الرماد الى ان تشب بعد سنوات قليلة فان جمهور الناس في هذا العصر يقول ما قالهُ الفِنْد الرمّاني في حرب البوس

صفحنا عن بني ذهلٍ وقلنا القوم اخوانُ
فلما صرّح الشرُّ فاسمى وهو عريانُ
ولم يبقَ سوى العدوانِ دنّاهم كما دانوا

فاتحة الحرب

وضع السر توماس باركلي رواية بديعة عمّا تخيّل حدوثهُ في قصر امبراطور المانيا بين الرابع والعشرين والحادي والثلاثين من شهر يوليو في العام الماضي قُبَيْل اعلان الحرب نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها ما يلي

الفصل الاول في ٢٤ يوليو

الامبراطورة جالسة في القصر الجديد بيتسدام امام شباك مفتوح والى جانبها مائدة عليها صور فوتوغرافية وازهار وادوات الحبك ودخلت الغرانفن أما احدى وصيفاتها لابسةً ثيابًا سوداء ووقفت وقفة الوقار والاحترام والامبراطورة غائصة في بحار الافكار و يداها تشتغلان في الحبك فلما رأتها قالت لها لقد ازعجتني يا اما لماذا تدخلين مسرعةً هكذا

اما — أأقرع الباب قبل دخولي

الامبراطورة — مثل خدَم جدتي . كلاَّ

اما — ان صاحب السمو الامبراطوري وصل الآن وهو يسأل جلالتكِ هل تسمحين بمقابلتهِ

الامبراطورة — نعم ليأتِ حالاً

تخرج اما و يقرع الباب فتقول الامبراطورة ادخل فيدخل ولي العهد و يعتنقها وينزع سيفهُ بجمائلهِ و يعلقهُ

الامبراطورة — ماذا حدث يا ولدي

ولي العهد — امور هامة جدًّا يا اماهُ الحرب على الابواب

الامبراطورة — لاسمح الله مع مَن

البرنس — مع كل احد وكيفما كانت الحال فالحرب واقعة لا محالة

الامبراطورة — كلاَّ كلاَّ ما منَّا مَن يريد الحرب

البرنس — الحرب لا مناص منها وقد اتيت لاشرح لكِ واقعة الحال

الامبراطورة — ماذا يقول ابوك

البرنس — لم يعرف حتى الآن

الامبراطورة — ماذا تقول ألا يعرف ابوك شيئًا ممَّا اتيتَ لتخبرني بهِ

البرنس — بلى يعرف ولكنهُ كثير الصبر وهو يحسب ان الامور تصطلح من تلقاء نفسها اما الامة فقد فرغ صبرها علينا لاننا في تأهب دائم للحرب ومع ذلك لا تقدم عليها حاسبين ان البنادق والمدافع تحارب وحدها

الامبراطورة — لا شبهة ان اباك كثير المشاغل ولا يصغي الى احد الاَّ الى ذلك الاستاذ وامثال اصدقائهِ اليهود

البرنس — وهذا شيءٌ لا يطاق . وهو الآن في بُلهلمن ومعهُ اربعون بارجة يؤاكل اناسًا لا شأن لهم و يترك قواد الجيش واقفين مكتوفي الايدي حاسبًا ان البطالة تريحهم

الامبراطورة — لا تتكلم عن ابيك الاَّ بالوقار

البرنس — ليس في يدي يا اماهُ فقد ضاق صدري وفرغ صبري وكأن ابي نسي اني ولي عهدهِ واني سأخلفهُ فلا يسمح لي ان اذاكرهُ في شؤون مملكتنا

الامبراطورة — اليك عن هذا الكلام فاني لا اسمح لك بهِ

البرنس — المعذرة يا اماهُ ولكن بلغ السيل الزبى . اما الآن فقد قضي الامر والفضل لغيرنا . وهذا ما اتيت لاخبرك بهِ فاسمعيني واعذريني اذا ذكرت ابي وانا محتدٌ ولا تنسي ان الولد سر ابيهِ واذا لم اذكرهُ بالاحترام الواجب فيكون لانهُ هو لم يكن يذكر اباهُ بالاحترام فاورثني هذا الخُلق

الامبراطورة — قطَّبت جبينها وعبست في وجههِ ولم تتكلم

البرنس — لا بأس فانتِ يا اماهُ من دم المانيٍّ فحٍ ليس فيهِ نقطة من الدم الانكليزي من فضل الله

فقالت الامبراطورة وهي متبسمة ان اولاد خالك يقولون انك انت اشبه اخوتك كلهم بالانكليز

البرنس — كثَّر الله خيرهم ولكن ما لنا ولهذا الصدد الى موضوعنا ألا تعلمين ان المانيا صارت اضحوكة في الدنيا مثل كل من يجري بجواد في ميدان السباق الى ان يصل الى الحفرة التي تلي الحليل فوقها ثم يدور و يرتدّ بهِ راجعاً . فان هذا ما فعلناهُ دائماً منذ رقي والدي العرش

الامبراطورة — وقد حفظ السلم

البرنس — ولكنهُ صار هزءاً وسخريةً . والآن صارت اصغر الدول تستطيع ان تصفعنا على وجهنا ولا تخشى شرًّا اما الدول الكبرى فانظري هذا الاجتماع في بطرسبرج فان رئيس الجمهورية الفرنسوية عبر الى روسيا مارًّا حول المانيا كانا لسنا شيئاً يعبأ بهِ . هذا امر يفوّر الدم . وانظري ما فعلت ايطاليا وهي حليفة لنا فانها اقتطعت افضل قطعة من افريقية من غير ان تستشيرنا ونحن نتذلَّل حتى تنال شيئاً من مستعمرات افريقية مما استغنت عنهُ كل الدول . انظري كيف تقف انكلترا وتأمر وتنهى ونحن لا نستطيع ان تأخذ محطة للفحم لان انكلترا تأبى علينا ذلك ولا نستطيع ان نقيم سكة حديدية ابتدأنا بها لان انكلترا اعترضت علينا . اخذت فرنسا الجانب الاكبر والاخصب من افريقية ونحن لم يسمح لنا ان نأخذ اصبعاً منهُ مع ان تجارتنا هناك اهم من تجارتها ولماذا ذلك لان انكلترا وقفت وقالت لا . لقد فار دمي ولكن ابي . . .

الامبراطورة — دع اباك جانباً

البرنس — لا اقدر يا اماهُ لا اقدر ولكن لا بأس . ان هذا الذل يميت النفس وكلنا نشعر بهِ

الامبراطورة — كلنا !

البرنس — نعم كلنا الشعب الالماني كلهُ ولم يبقَ لابي الاَّ امرٌ من امرين اما ان يسير مع شعبهِ او يسير الشعب وحدهُ و يتركهُ

الامبراطورة — ماذا تعني

البرنس — اعني انهُ لم يعد لابي المقام الرفيع الذي كان لهُ في عيون الشعب

الامبراطورة — ولماذا لم تكلم اباك بذلك

البرنس — لا فائدة من الكلام معهُ لانهُ لا يكترث للامر واذا كلمتهُ قال لي ان لا غرض لهُ الاَّ نجاح المانيا وحفظ السلم وعلى آل الامر اليَّ فانا وشأني . ألا ترين يا اماهُ انهُ يظلمني بذلك لمجرَّد حبهِ الراحة واللهو

الامبراطورة — انت في غلط مبين يا ولدي نعم ان اباك كثير الحركة مثل المرحومة امه فانها كانت تهتم بامور كثيرة في وقت واحد ومع ذلك فقد عملت اعمالاً مجيدة كما عمل ابوك . كان اهالي برلين يكرهونها لانها كانت تلقي على المهندسين دروساً في حفظ الصحة ولكنهم فعلوا كما علّمتهم فصارت برلين مثالاً في النظافة . ويتعذّر عليك ان تتصوّر كيف كان القصر الذي انت فيه قبلما اهتمت باصلاحه . وابوك مثلها وسيعرف الناس فضله ويعترفون به

البرنس — قد يكون الامر كما قلت ولكن الحالة الآن لا تطاق فان دول الاتفاق الثلاثي عازمة على الحرب وانكلترا هي القائدة

الامبراطورة — انكلترا !

البرنس — نعم انكلترا وفرنسا واما روسيا فمسيّرة لا مخيرة وقد اكل الحسد قلوبهن ولاسيما قلب انكلترا

الامبراطورة — على م يحسدنا

البرنس — على نجاحنا وحالما يتم تأهبهن يهجمن علينا كالضواري . فهل تقف مكتوفي الايدي الى ان يهاجمنا . اذا كان لا بدّ من الحرب فيجب ان نختار لها اليوم الذي نريده وقد حان هذا اليوم الآن

فوقفت الامبراطورة ووضعت يديها على كتفي وفي العهد ونظرت في وجهي وقالت انت تعلم معزّتك عندي لاسيما والت بكري وعسى ان تكون قد نفثت كل ما في صدرك من الغيظ بما قلته واجب ان اعرف ماذا قال ابوك

البرنس — ان ابي لا يعرف شيئاً مما قلته لك

الامبراطورة — أأبوك لا يعرف شيئاً

البرنس — لا يعرف ولذلك اتيت لاخبرك ان الحرب ستثور قبل اسبوع

الامبراطورة — ماذا تقول

البرنس — لا مناص من الحرب والاّ فلماذا تقررت الضريبة الحربية . وقد اعددنا مدافع الحصار ونحن الآن على تمام الاهبة ولم تكن في وقت من الاوقات متأهبين كما نحن متأهبون الآن واعداؤنا كلهم غير متأهبين مثلنا وستنتهي هذه الحرب قبل عيد الميلاد فيصير لنا المقام الارفع في اوربا بدلاً من ان تبقى مضغةً في الافواه وتضطر انكلترا ان تعرف مقامنا وتعدل عن معاملتها السابقة لنا لا يمكنك ان تتصوري مقدار كراهتي لها وكل الالمان يكرهونها

الامبراطورة — ولكن حربكم ليست مع انكلترا

البرنس — بلى معها وهذه هي خطتنا — ندخل باريس قبلما تتم روسيا تعبئة جيشها وقبلما تقر انكلترا على امر تفعلهُ ثم نسحق انكلترا فتنفتح لنا ابواب اميركا

الامبراطورة — اميركا ! والاميركيون اصدقاؤنا

البرنس — هذه من اوهام ابي كأن الاميركيين يصادقون احداً حبًّا بسواد عينيهِ . وما صديقك الأ من يخشى عداوتك . ولا بدَّ لنا من امتلاك برازيل وصختلكها

الامبراطورة — وما هي العلة الموجبة للحرب الآن

البرنس — لا توجد علة مخصوصة نتوسَّل بها ولكن المرجح اننا نتخذ ما حدث لولي عهد النمسا وسيلة

الامبراطورة — آهٍ من الرجال فانهم كلهم يعشقون الحرب

يتقلَّد البرنس سيفهُ ثم يقول لامهِ اتيت اخبرك لكي لا تحملي ابي على مقاومتي لان هذه الحرب تتعلَّق بمستقبلنا اكثر مما تتعلق بحاضرنا والمستقبل لي . ويشهد الله اني لا اريد ان اصير امبراطوراً وكنت افضِّل ان اكون الثاني لا الاول من اولادك ولكن قضى الله بما قضى واريق دم اسلافي في عروقي يضطرني الى طلب المعالي وما ولدت لهُ سأفعلهُ بكل جهدي

فاعطتهُ امهُ يدها فقبلها ثم قالت لهُ انك لم تصب في ظنك انني استطيع ان احول اباك اليك اوعنك فانهُ لا يسمع لي

البرنس — ان ابي يحب التملُّق مثل كل من يتقدم في السن فتملقيهِ قليلاً . ولا تستطيع المانيا ان تعيش بين جيرانها وهم كالذئاب الخاطفة الأ اذا كشرت لهم عن نابها . وارجو ان لا تخبري ابي بزيارتي هذه ولا احد يعلم بها الأ اما

ولما خرج جلست الامبراطورة تفكر في كلام ابنها . ودخلت اما حينئذٍ فقالت لها الامبراطورة اسمعتِ هذا الخبر يا اما

اما — اي خبر

الامبراطورة — خبر الحرب

اما — نعم سمعت شيئاً من هذا القبيل

الامبراطورة — ولماذا لم تخبريني

اما — ظننت ان جلالتك عارفة بهِ

الامبراطورة — لم اعرف شيئاً لان جلالتهُ لا يطلعني على شيء . لماذا يرغب الناس في الحرب

اما — يقولون انها حرب واقية واظن انهم يريدون بذلك انها حرب صغيرة تقي من حرب كبيرة كما ان ظم الجدري يقي من الجدري

الامبراطورة — هذه سخافة فلندع اذاً بعض الناس يرتكبون الجرائم الصغيرة لكي لا تقع الجرائم الكبيرة . فلا تصغي لهذه الاقوال ولا تعيديها على مسمعي . ومن قال لك ذلك

اما — هذا لسان حال الجميع بعد ارسال البلاغ الى السرب

الامبراطورة — وما علاقة السرب بنا

اما — يقولون ان حادثة السرب تعلة تمكننا من ان نشهر الحرب حالاً . فان انكلترا وفرنسا وروسيا اتفقن على ارسال بلاغ نهائي الينا

الامبراطورة — كيف عرفت ذلك

اما — هذا هو الدائر على الالسنة الآن وكل احد من رجال البلاط يتكلم به

الامبراطورة — وعن اي شيء هذا البلاغ النهائي

اما — عن إبطال التسليح فانهُ يقال انهنَّ سيطلبن من المانيا ان تقلل جيشها ومعداتها الحربية او يحاربنها

الامبراطورة — يا للوقاحة ولكن هذا امر لا يصدَّق . ومن قال لك ذلك ومَن هو المحرِّك لهُ

اما — هذا هو الكلام الدائر على الالسنة ويقال ان المحرك لهُ هو السر ادورد غراي وان اميركا وايطاليا تعضدانهِ

الامبراطورة — هل تصدقين ذلك يا اما

اما — ارجو المعذرة من جلالتك اذا ابديت رأيي في هذه المسألة فاني اصدق ما يقال لانهُ اذا قويت دولة من الدول حتى اضطرت جاراتها ان يزدن جيوشهنَّ خوفاً منها ويتحملن نفقات باهظة لا قبَل لهنَّ بها فلا يبعد ان يتفقنَ على اذلالها

الامبراطورة — ولكن المانيا لا تتهدَّد احداً وجلالتهُ رجل مسالم

اما — ولكن جلالتهُ لا يسمع لاحد ولاسيما في امر الجيش والاسطول

الامبراطورة — وهذا هو الصواب ولكن ما شأن انكلترا في ذلك

اما — يقال ان انكلترا خائفة من اسطولنا خوفاً شديداً وقد جُنَّ بعض رجالها وجعلوا يكتبون في الجرائد مقالات تدل على جنونهم حاسبين اننا سنهجم عليهم ونمحق اسطولهم

ودخلت حينئذٍ احدى سيدات القصر وقالت ان جلالتهُ بعث اليكِ رسالة خاصة وقد

اعطاني اياها الفون اتنج لكي اسلمها الى جلالتك . ثم سلمت الرسالة اليها فقرأتها واذا هو يقول فيها انهُ اتى من نروج وسيصل في الغد . ولما قرأتها التفتت الى اما وقالت لها يظهر انك مصيبة لان رجوعهُ الآن بهذه السرعة يدل على امر هام . لا تقولي لاحد ان ولي العهد كان هنا لئلاَّ يسمع جلالتهُ بذلك فيفسرهُ على غير حقيقتهِ . آه لقد زاد حبي لانني قلما اتحرك تعالي وانظري ما اجمل هذا الورد ما اجمل الطبيعة كلها قالت ذلك ومشت نحو رواق وسارت فيهِ

الفصل الثاني

في مكتب الامبراطور بوتسدام وهو غرفة واسعة فيها صورة الامبراطور وليم الاول والامبراطور فردريك والامبراطورة زوجتهِ والملكة فكتوريا وصور كثيرة فوتوغرافية . واثاث الغرفة من طرز لويس الخامس عشر . فُتح الباب ودخل فون اتنج ومعهُ صندوق الرسائل فوضعهُ على المكتبة وانتقد الاقلام ثم قُرع جرس التلفون فاخذ السماعة بيدهِ وقال كلاَّ يا صاحب السمو . نعم حتمًا . لم يبلغنا علم حتى الآن وسأكلمهُ واخبركم حالاً . ووضع السماعة في محلها وقرع جرس التلفون وقال انا فون اتنج يا صاحب السعادة ان صاحب السمو الملكي ولي العهد يجب ان يعرف حالما يصل اليكم علم عن القطر الذي يرجع فيهِ الامبراطور . ثم ضغط زرًّا من ازرار التلفون وقال ان قطار سموهِ اجتاز ستتدعل الآن وهو في اشد السرعة . نعم يا صاحب السمو . نعم نعم

ودخل الاميرال فون تربتز وزير البحرية (von Tripitz) والاستاذ فقال لها فون اتنج ان جلالتهُ اجتاز ستتدعل ولا يصل قبل بضع دقائق

الاميرال — نعم ايها الاستاذ ان جلالتهُ لا يعرف التاريخ ولكنهُ من رجال الاعمال الذين يقوم التاريخ بهم . ويسوءُهُ ان يعلم ان اعمالهُ مقيَّدة ومحددة بما تقتضيهِ حوادث التاريخ وان لا سلطة لهُ على هذه الحوادث

الاستاذ — ان الحوادث مقدورة والانسان مسيَّر لا مخيَّر في اعمالهِ لان اعمالهُ نتائج لمقدمات سابقة لا بد لهُ فيها

الاميرال — لا شبهة ان الجيوش الروسية لا تعبأُ ما لم يأمر احد بتعبئتها

الاستاذ — نعم الامر كذلك ولكن لماذا صدر الامر بتعبئتها

الاميرال — لا احد يعلم في روسيا كيف تصدر الاوامر على ما اظن

الاستاذ — اصبت وحتى الآن لا يُعلَم من اصدر الامر الامبراطوري بقبول شروط اليابان للصلح مع ان وزير الخارجية وقّعهُ بيده

الاميرال — ولا يمكننا ان نعيش دائمًا على شفا بركان يمكن ان يثور في كل لحظة كما عشنا منذ ربع قرن الى الآن

الاستاذ — لقد مرّت قرون عديدة والناس عائشون على جوانب بركان يزوف في ايطاليا وهم يزرعون الكروم فيها غير مبالين بتحذير الذين كانوا يحذرونهم من ثورانهِ مع انهم كانوا يسمعون الاصوات من جوفهِ

الاميرال — لو كان هناك مهندس الماني لحفر ثُغرًا في جوانب ذلك البركان تنفث حممهُ منها ويؤمن شرهُ

الاستاذ — نعم ولو ثار البركان ثانيةً وهذا ما يريد مهندسونا السياسيون ان يفعلوهُ الآن ولعل مهندسي رومية فعلوهُ لما ثار يزوف قبلاً

الاميرال — النتيجة مجهولة ولكن ما يحدث امرٌ لا بدَّ منهُ

الاستاذ — ان كل ما حدث في التاريخ قد دونهُ مقدور وللامم حياة محدودة كما للافراد ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكن هذه الحرب مقامرة ولا يليق بالحكيم ان يقامر بكل ما عندهُ على ورقة واحدة

الاميرال — ولكن انكلترا لا تحرك ساكنًا لو كنتَ في كيل منذ اسبوعين وسمعت الاقوال التي قيلت هناك لثبت لك منها ان انكلترا نزعت من نفسها الخوف من اسطولنا. ففي اول الامر لم يخطر لها انهُ يمكن ان تنازع في تفوقها البحري ثم لما رأت ان ذلك صار امرًا مقضيًا قالت اذا لم يكن لك ما تريد فاردد ما يكون على جاري عادتها. وهذا هو الشيء الذي ينقصنا نحن ايها الاستاذ فكان الواجب ان نرضى بنجاحها ونعدل عن طلب الاحلام ولكن زادنا النجاح احلامًا . ولقد ارسلت اولادي الى انكلترا لكي يتعلموا فيها كيف يروون الحقائق ويطلبونها بدلاً من طلب الاماني

ثم دخل المر بلين Ballin رئيس شركة همبورج اميركا وصافح الاميرال والاستاذ فالتفت الاستاذ اليهِ وقال ما رأيك يا بلين

بلين — هذا هو الخراب بعينهِ

الاستاذ — ولكن هذا امر لا مفرَّ منهُ

بلين — اتقول لا مفر منهُ ألا تعلم انهُ يخرب كل شمال المانيا

الاستاذ — عفواً فسمع ان كل اللوم على الحكومة مع ان الامر ليس في يدها حتى ان امبراطورنا لا سلطة لهُ الاَّ على دفة الحكومة واقلُّ خلل في الآلة يعطل حركات الدفَّة وقس عليهِ قيصر روسيا

بلين — اذا لم يكن اللوم على الحكومة فعلى مَن اذاً أعلى الامبراطور

الاستاذ — لا على الحكومة ولا على الامبراطور

بلين — أعلى الجيش اذاً

الاستاذ — كلا لا يد للجيش في هذا الامر ولكن الشعب الالماني نفسهُ هو المسأول

بلين — اذاً اللوم على تعاليمكم الملعونة في مدارسكم

الاستاذ — نعم هي تحمل بعض اللوم والبعض الآخر على اساليبكم التجارية القبيحة

بلين — اصبت في هذا ايها الاستاذ فان إسلوب المانيا التجاري اسلوب ظالم خالٍ من كل مرحمة . وانا اعترف بذلك لانني ارى نفسي مضطرًّا ان اقاوم هذا الاسلوب كل يوم ونصف تجارنا لصوص

الاستاذ — ان كل البادئين في التجارة لصوص ولو على درجات مختلفة ونحن لا نزال في درجة الابتداء وكل الذين اسسوا المستعمرات الانكليزية كانوا لصوصاً والذين اسسوا المملكة الرومانية كانوا لصوصاً ايضاً

بلين — اظن انك مصيب في ذلك ولهذا يكره الناس تجارنا وبعض هذه الكراهة عن حسد كما لا يخفى وهذا الحسد لا تخلو منهُ طبقة من طبقات الناس

الاميرال — لا بدَّ لي الآن من الذهاب الى المحطة لاقابل الامبراطور . قال ذلك وخرج

بلين — وقد رأيت ذلك في اميركا وفي الواقع اني . . .

الاستاذ — لا داعي للذهاب الى اميركا لكي ترى التحاسد بين طبقات الشعب الواحد فان الامة الانكليزية كلها من اعلاها الى اوطاها حاسدة للامة الالمانية

بلين — لم ارَ ذلك في الانكليز الذين خالطتهم وعاملتهم بل ان اصحاب الاشغال الكبيرة منهم ينافس بعضهم بعضاً ولكنهم لا يتحاسدون

الاستاذ — ان ما تسميهِ تنافساً بين الطبقات العليا هو ما يسمَّى تحاسداً بين الطبقات السفلى والطغام والتحاسد اعمُّ من التنافس

بلين — اقول الطغام

الاستاذ — نعم الطغام وكلنا نعاشر الطغام ونعلِّم الطغام

بلين — فاذا اساء الطغام التصرف فاللوم عليكم وعلى تعليمكم

الاستاذ — نعم وانا لا انكر ذلك

بلين — اذا كانت هذه الحرب اللعينة ناتجة عن خلل في عقول العامة فسببها الاصلي تعاليمكم . وطالما خطر لي ايها الاستاذ ان كبر ادمغتنا هو علة من علتنا

الاستاذ — نحن كبار الادمغة ولكن ادمغتنا منصرفة الى العلم لا الى الفلسفة فان اهتمامنا بالعلوم الطبيعية صرفنا عن النظر في الامور النفسية اي صرفنا عن النظر الى ملابسات الاشياء التي يراها وهذا هو سبب ما يقع من الخطإ في احكام ساستنا

بلين — حقًا انك فيلسوف ايها الاستاذ ولهذا السبب احبك الامبراطور وقربك منهُ . قل لي بحقك ما هو رأيك في التمدن الانكليزي

الاستاذ — انا احب ان اقف على رأيك انت فيهِ

بلين — يا حبذا لو كان عندنا كثير منهُ

الاستاذ — ان كان هذا رأيك فقلما تجد من يمدحك عليهِ لا سيما وان الانكليز جفاة بالطبع

بلين — هنا يخطئ الالمان فقد عاملت الانكليز طويلاً فوجدت انهم غاية في الرقة والاستقامة والكرم وهم من اقل الناس انخداعًا لان من يخدع بسهولة في الاشغال يجزى غيرهُ على غشهِ . واما مهم عصر مجيد فقد فقدوا في بعض الامور ولكن اذا ذهبت الى كندا رأيت ما يدهشك فان هناك قارة واسعة وستصير مقر الشعب الانكليزي في مئة عام وقد تصير انكلترا حقيرة بالنسبة اليها ولكن ذلك ليس مما يُعنى بهِ الشعب الانكليزي لان انكلترا تبقى امهم . وهم اعظم شعب في الدنيا ولا يمكننا ان نجاريهم حتى الآن

الاستاذ — وقد كان الرومان اعظم شعب في عصرهم واين هم الآن

بلين — كم سنة داموا كذلك

الاستاذ — ٧٠٠ سنة

بلين — اذًا يبقى الانكليز بعدي وبعدك

الاستاذ — لا انكر اننا نحن الالمان قد حملنا على الاعتقاد ان كل جيراننا حاسدون لنا يدسون لنا الدسائس و يتربصون بنا الشر و ينتظرون ساعة نضعف فيها حتى يثبوا علينا و يوقعوا بنا . وهذا الاعتقاد غير صحيح ولكنهُ لازم لكي تنضم بعضنا الى بعض لانهُ لا شيء يحمل الشعب الالماني على الانضمام والاتحاد مثل ان نقنعهُ ان جيرانهُ يتآمرون على الفتك بهِ حسدًا منهُ . وهذا الاقناع هو الذي جعل لنا جيشًا بريًا واسطولاً بحريًا وولّد فينا العاطفة

الوطنية ولا تقوم لامة قائمة بغير هذه العاطفة ولكنها اتجت ضرراً كبيراً لا مناص منهُ فاننا علمنا الامة ان تثق وتطيع فوثقت واطاعت ولكننا خدعناها ايضاً كما تقدم ونحن نرى الآن تبعة خداعنا لها

ودخل اتنج حينئذٍ وطلب منها ان ينتقلا الى غرفة اخرى لان البرنس ولي العهد كان آتياً ودخل البرنس ولي العهد وقال لاتنج ماذا قال جلالتهُ

اتنج — لم يقل شيئاً

البرنس — هل جاء شيءٌ من عمي

اتنج — نعم جاء منهُ تلغراف الى جلالتهِ

البرنس — هو ايضاً من محبي السلام . لماذا لم يصر انكليزياً مثل بانتبرج . لقد ضاق صدري مما سمعتهُ من التملق والتجبيل في كيل بالامس . لا بدَّ من الحرب يا اتنج وان لم نقم اليوم فالله يساعدنا . ويتمن من هذه الفئة ايضاً فئة المسالمين ومثل ذلك يا هو وزمرمن وستم Jagow, Zimmerman, Stumm كلهم من صغار النفوس . ولقد سررت بارسال برنستورف Bernstorff الى رشنطون لانهُ منهم

اتنج — هل زوجتهُ انكليزية

البرنس — كلا بل اميركية فهي احسن نوعاً

ثم قُرع جرس التلفون فسمع اتنج السماعة وقال للبرنس انهُ لسموك . فسمع البرنس السماعة وقال في القصر . ثم التفت الى اتنج وقال لهُ اتريد ان تفارقني لحظة فخرج اتنج . وقال البرنس بالتلفون ان جلالتهُ غيَّر فكرهُ على جاري عادتهِ وهو آتٍ من كيل ... وانا محتاط ايضاً . جاء تلغراف من عمي ولا ادري بماذا اشار ولا بماذا اشار لتشوسكي (سفير المانيا في انكلترا) . كل ساعة تمر خسارة علينا . القول ان برشتولد (وزير خارجية النمسا والمجر) ضعف عزمهُ لا حول ولا قوة . سأمرُّ عليك الآن

قال ذلك وخرج وركب اتوموبيلهُ وعاد اتنج الى الغرفة واذا بصوت اتوموبيل آخر وتسليم عسكري وفتحت الابواب ودخل الامبراطور فسلم على اتنج مصافحةً وقال اين الوزير

اتنج — ان صاحب السمو الامبراطوري يرغب في مقابلة جلالتكم اولاً

الامبراطور — لا بدَّ لي من مقابلة الوزير حالاً (اي بتمن هلمج) . اعطني التلفون فتناولهُ وقال للياور الاول قل لولي العهد اني سأراهُ بعد بضع دقائق وقال لاتنج قل للوزير

ان يدخل . وادخل ولي العهد رأسهُ من الباب والتفت الى ابيه مستأذناً في الدخول فقال لهُ ابوهُ اني في انتظار الوزير الآن

ولي العهد — ألا يمكن ان تراني اولاً

الامبراطور — كلاَّ يا ولدي

البرنس — هوذا اني

ودخلت الامبراطورة فنهض الامبراطور ولاقاها وقبَّل يدها فقالت هذا شيء لا اطيقهُ

الامبراطور — ما هو الشيء الذي لا تطيقينهُ

الامبراطورة — هذا ابنك وهو اشد الناس كلهم تعلقاً بك

الامبراطور — انا آسف جداً ولكن لا بدَّ من خروجك ايضاً لاني اسمع الوزير آتياً

ودخل الوزير فسلمت الامبراطورة عليهِ وصافحهُ الامبراطور وخرجت الامبراطورة فقال الامبراطور للوزير انك تستحق الشكر الاكبر لاجل هذه الاعمال المختلة المعتلة

الوزير — اني لا انكر ذلك يا مولاي

الامبراطور — هذا يصلح الامر نوعاً . اين وقفنا الآن

الوزير — جاء تلغراف امس من بطرس برج ان روسيا تبعث جيوشها على تخوم النمسا اذا زحفت جيوش النمسا على السرب

الامبراطور — فماذا اجبت

الوزير — قلت اني واثق بانها لا تفعل ذلك لاني اخشى اننا لا نستطيع ان نرى الحرب تشبُّ بين روسيا والنمسا ونبقى على الحياد

الامبراطور — اين ياهو

الوزير — في غرفتهِ

فلمس القيصر زراً من ازرار التلفون ووضع السماعة على اذنهِ وقال أهذا انت يا ياهو احضر حالاً بكل المخابرات . ووضع السماعة من يدهِ والتفت الى الوزير وهو يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وقال لهُ اتدري ما مفاد هذا العمل

الوزير — نعم والامر جلَل

الامبراطور — فلماذا تركت الامور تصل الى هذا الحد ماذا كانت ذلك الابله تشرشكي يفعل

فلم يجب الوزير بشيء فقال الامبراطور الم تسمعني قل لي هل هو المسيب لذلك كلهِ

الوزير — ليس وحدهُ

الامبراطور — لقد كنت دائمًا قليل الاركان الى هذا الرجل

الوزير — يوجد غيرهُ معهُ

الامبراطور — اذًا هناك دسيسة مؤامرة قُلْ لي مؤامرة

فنظر الوزير الى الامبراطور ولم يقل شيئًا فقال لهُ الامبراطور اتركني الآن وحدي وانتظرني في غرفة التخت . فخرج وجعل الامبراطور يمشي ذهابًا وايابًا وهو يقول ما اجتني وما القصر نظري . وجلس ليكتب ومزق ورقة بعد اخرى ثم سمع جرس التلفون يقرع فامسك السماعة وقال ليس الآن . ودخل حينئذٍ ياور وذكر اسم فون ياهو فدخل فون ياهو وقال لهُ الامبراطور سل زحفت جنودهم فاجابهُ كلاَّ . فقال الم يجدّ شيء فاجابهُ لم يجدّ شيء في وزارة الخارجية . فقال الامبراطور ما لنا ولها ماذا جدّ في غيرها

ياهو — ارسلت وزارة الحربية الجنود الى الحدود

الامبراطور — لا مانع وهي لازمة في ساعة الخطر

ياهو — ولكن ارسالها هاج الشعب

الامبراطور — اتعتقد ان الشعب يريد الحرب

ياهو — هذا معتقد اركان الحرب

الامبراطور — هذه دسيسة . انت رجل عاقل يا ياهو قُلْ لي الحق اتظن انت ان الشعب يطلب الحرب

ياهو — اظن ان كثيرين من رعايا جلالتكم يريدون الحرب

الامبراطور — يظهر ان الالمان نسوا اماني الحرب . اغتنوا وصارت بلادهم فوق كل البلدان تقدمًا ونجاحًا فاتخمت من اليسر وهي تفتش الآن عن العسر لتجرّد حب التغيير . أهذا الذي تعنيه

ياهو — كلاَّ يا مولاي ولكنني اظن ان العامّة يظنون ان العالم كلهُ يجهد لم حالما يرفعون صوتهم

الامبراطور — اطلعني الآن على المراسلات (وجعل يقرأها ثم قال) اتظن ان غراي يعني ما يقول

ياهو — قلما يعرف الواحد حقيقة افكار الانكليز عمَّا يسمعهُ منهم

الامبراطور — هذا كلام مبهم فافصح عن مرادك يا رجل

ياهو — ان ما نسمعهُ من السفير الانكليزي انما هو ترجمة الاوامر التي تأتيهِ من رئيسهِ

ورئيسهُ يترجم عمَّا يقال في مجلس الوزراء ويحس الوزراء عمَّا يقال في البارلمنت والبارلمنت عن آراء المنتخبين ووراء هؤلاء كلهم الناس من اصحاب المصالح يسيّرون الافكار كما يشاءون

الامبراطور — احسنت يا ياهو وهذا يصدق على كل الوزراء ما عدا غراي فان وزارة الخارجية مستقلة عن البارلمنت وتفعل ما تشاء . وانا اعرف غراي وهو مخلص ولا يمكن ان يريد الحرب . اراك تنظر اليَّ نظر المرتاب لكني اؤكد لك ان الحرب ليست من مطالب رجال السياسة

ياهو — نعم حسب الظاهر

الامبراطور — الوزير في غرفة اخرى ولا بدَّ لي من مقابلة كثيرين وسأراكم كلكم بعد حين . لا ترسل اليَّ مراسلات اخرى الآن اني اريد ان افكّر في الامر

ثم خرج ياهو ودخل الاستاذ فقال لهُ الامبراطور أطال انتظارك

الاستاذ — نحو ساعة فقط يا مولاي

الامبراطور — اراهم يكرهونك فلا بدَّ لي من ان امنحك لقب شرف لتعلو في عيونهم

الاستاذ — لا صحح الله

الامبراطور — لماذا (قال ذلك عابسًا)

الاستاذ — يكفيني شرفًا ثقة جلالتكم باخلاصي واود ان ابقى مشمولاً بهذه الثقة فلا اعرّض اخلاصي للانتفاع

الامبراطور — احسنت ولست ماخذك الاَّ ما تستحقهُ ولكن اتعرف ان الحرب صارت على الابواب

الاستاذ — نعم

الامبراطور — هل عرفت بذلك قبل الآن

الاستاذ — نعم يا مولاي فان الحرب كانت على الابواب منذ مدة طويلة ولكن جلالتكم قادرون على غض الطرف عن رؤية ما هو جلي للعيان

الامبراطور — أإلى هذا الحد يا استاذ اني اجأك ولكنني لا انتظر منك ان تحسبني جاهلاً احمق معتدًّا بنفسهِ كلاَّ كلاَّ يا استاذ (قال ذلك ولد احمرَّت وجنتاهُ غيظًا فنهض الاستاذ وحنا رأسهُ امامهُ وسار نحو الباب)

الامبراطور — قف قف (فوقف) هاك يدي انت صديقي الوحيد ليس لي صديق مخلص غيرك اجلس

ووقف الامبراطور وجعل يمشي ذهاباً وإياباً وقدّم علبة السيكار للاستاذ فاخذ منها سيكاراً ماذوناً بورقة فضية

الامبراطور — ما قولك في هذه الحرب

الاستاذ — جنون مطبق

الامبراطور — بل جنون محكم

الاستاذ — ليس من جهتنا

الامبراطور — فنحن آلة اذاً آلة لا غير

الاستاذ — المانيا هي البلاد الوحيدة التي لا تستفيد من هذه الحرب

الامبراطور — ولكن اذا ما أمكننا روتردام ورفعنا

الاستاذ — هذه احلام

الامبراطور — احسب اذاً اننا سنُغلَب

الاستاذ — كلاّ يا مولاي اني لا اعني ان الغلبة لا تكون لنا في النهاية ولكن التاريخ . . .

الامبراطور — ما لنا وللتاريخ نحن نصنع التاريخ

الاستاذ — ان اقدر رجال الحرب انما يستطيع ان يقتل خصمهُ ولكن حفظ الممالك يستلزم رجالاً اقدر من اقدر رجال الحرب . وطباع الناس لا تولد بغتةً بل هي نتيجة عصور كثيرة . كم من حرب تألّب فيها خصم على خصم واجتاح بلادهُ ولكنهُ لم يستطع امتلاكها الاّ اذا اتفقت اخلاق الشعبين . مثال ذلك ان فرنسا ضمت اليها الالزاس وروسيا ضمت بولندا ولكن ما اعظم الفرق بين الضمين . واسبانيا ضمت هولندا ولم تستطع حفظها وهولندا ضمت بلجكا ولم تستطع حفظها ولماذا لان الروابط التي تربط امة باخرى هي اما وحدة اللغة والآداب او وحدة المصالح السياسية

الامبراطور — اعطني امثلة على ذلك

الاستاذ — مثال الاول الولايات المتحدة والثاني انكلترا اما الولايات المتحدة فانها جعلت سكانها كلهم يتكلمون لغةً واحدة فصارت اللغة رابطة سياسية لهم

الامبراطور — ولكن الالزاس المانية والهولنديون المان

الاستاذ — الهولنديون ليسوا من الالمان كما ان البروسيين ليسوا منهم

الامبراطور — اتقول ان البروسيين ليسوا المانًا

الاستاذ — نعم يا مولاي بل هم شعب قائم برأسه . وكذلك الهولنديون شعب مستقل له تاريخ خاص وآداب خاصة واخلاق خاصة

الامبراطور — وكبرياء خاصة

الاستاذ — نعم وكبرياء خاصة وحب للاستقلال . اما اهالي الالزاس فلم تمهد سلطة فرنسا الرفيقة من السير في الخطة التي ارادوها فساروا كشعب مستقل مثل الهولنديين . ومتى قوي خلق الاستقلال في النفس تعذر على المتسلطين نزعه منها

الامبراطور — اذاً انت ترى انهُ كان يجب علينا ان نترك الالزاس لتعود الى فرنسا

الاستاذ — كلا يا مولاي ولكن الجنود لا يصلحون الا لقتل خصومهم وقد حاولنا ان نحكم الالزاس بالجنود بدلاً من اتباع خطة افضل من هذه

الامبراطور — اذاً انت لا توافق على ضم بلاد البرين ولكن روتردام مرفأ المانيا

الاستاذ — يمكن ضمها سلمياً متى تغيرت اخلاق اهلها وصارت المانية ثم لا بدَّ من تصفية الحساب حينئذٍ مع انكلترا لانها لا ترضى بذلك

الامبراطور — انكلترا تثور في اول الامر ثم تخمد ثورتها فلا خوف منها

الاستاذ — اني اخالف جلالتكم في ذلك مع فرط احترامي لكم وانتم اعرف بطباع الانكليز

الامبراطور — كيف لا ونصفي انكليزي فان امي انكليزية

الاستاذ — ولقد كانت امرأة فاضلة

الامبراطور — نعم فاضلة ومن فضليات النساء (قال ذلك ومشى الى امام صورتها ونظر اليها ثم قال) ولو اسرع ارتقاء العلم لكانت لا تزال حية . لم اكن اعرف قيمتها في حياتها كما عرفتها بعد موتها فقد فقدتُ امًّا ناصحاً . ولقد كان خالي البرت اصدقاء كثيرون اما انا فليس لي احد من الاصدقاء الخلص الذين يثبتون اني امبراطورهم فيكلموني باخلاص كما يكلم الصديق صديقهُ والكلام بيني وبينك يا استاذ ان ذلك معدوم في المانيا فاذا صادقت احداً اليوم شمخ عليك غداً . وبهذا يمتاز الانكليز علينا فانهُ مهما اشتدت الصداقة بينهم لا يدل احدهم على الآخر بل يلزم حدهُ . ولكن لنعد الى التاريخ ان انكلترا لا تحرك ساكناً في هذه الحرب لان المشكلة الارلندية شغلاً بدها

الاستاذ — اظن يا مولاي انها تسرُّ بما يحوّل انكارها الى غيرها

الامبراطور — يقول لشنوسكي انهُ اذا اشتبكت انكلترا بمسألة خارجية فالحرب

الاهلية لثور فيها حالاً والجيش كلهُ في ارتداد ولا يمكن اخراجهُ منها . والآن مرادي ان ارى بلين فتعال وقابلني كل يوم

فخرج الاستاذ واستدعى الامبراطور الحر بلين فدخل فقال لهُ كيف عملت حتى وصلت بهذه السرعة وكل السكك مشغولة

بلين — اتيت بالاتوموبيل من هيرج الى هنا

الامبراطور — احسنت ما رأيك في هذه المشكلة

بلين — ليس لعبد مثلي ان يبدي رأياً

الامبراطور — اليك عن هذا الاتضاع المكروه يا رجل تقدَّم وقل لي فكرك . ولكن هل تغدَّيت

بلين — كلا

الامبراطور — ابقاك هؤلاء الوحوش كل هذه المدة بلا اكل سأحضر لك شيئاً تأكلهُ هنا . ثم نادى باوراً وقال لهُ اطلب شيئاً من الطعام للهر بلين فيأكل هنا . والتفت الى بلين وقال لهُ لقد جنُّوا كلهم

بلين — مَن الذي جن يا مولاي

الامبراطور — ما انا ولم اراك كأنك كبرت عشر سنوات عمَّا كنت . اتظن اننا غلطنا في عملنا

بلين — تعلمون جلالتكم اني واقف نفسي لخدمة المانيا ولكنني لست كفوءاً للحكم في المسائل السياسية الكبيرة

وادخل الخدم حينئذٍ طبقاً عليهِ الوان الطعام فقال لهُ الامبراطور كُلِ الآن اظنك لا تستلذ هذه الحرب

بلين — كلاَّ يا مولاي

الامبراطور — ولكنها تنتهي في عيد الميلاد

فبقي بلين صامتاً فقال لهُ الامبراطور الظاهر انك لا تظن انها تنتهي حينئذٍ

بلين — نعم لا اظن

الامبراطور — قل لي اذاً ماذا تظن . ثم وقف وجعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً كأنهُ لا ينتظر جواباً لسؤالهِ . ولما أتمَّ بلين اكلهُ وقف الامبراطور امامهُ وقدم لهُ سيكاراً وقال لهُ قل لي بحقك لماذا ارى الجميع راغبين في الحرب

فوقف بلين فقال لهُ الامبراطور ابقَ جالساً بل اجلس في هذا الكرسي واشار الى كرسي كبير وجلس هو في كرسي آخر الى جانبهِ وقال لهُ اذاً انت تظن اننا مخطئون

بلين — لقد أكون انا مخطئاً في ظني

الامبراطور — اليك عني هذا التواضع الممقوت قل لي فكرك وليس احد هنا يسمع ما تقول

بلين — ان الحرب خاضعة لقوانين الاشغال التجارية فهي هذه الاشغال مَن يخاطر باموالهِ يعرضها للخسارة معها اتخذ من الحيطة . نعم نحن خاطرنا مراراً في شركتنا ولكن جلالتك كنت تسندنا دائماً ولولا ذلك ما بقيت شركتنا الى الآن وهذه الحرب مخاطرة فاذا لم تفلح فاين السند

الامبراطور — كيف عرفت انها لا تفلح

بلين — لم اقل انها لا تفلح بل قلت انها ان لم تفلح

الامبراطور — نعم قلت يا بلين انها لا تفلح

بلين — كلاَّ يا مولاي ومرادي ان الخطر جسيم لا غير

الامبراطور — نعم جسيم ونحن مخاطرون بكل ما لنا

بلين — اذا فعل ذلك تاجر من التجار فيكون مرادهُ ان يتخسر اذا لم يفلح

الامبراطور — ولكن الكل يطلبون الحرب ويشتاقون اليها .

بلين — وسبب ذلك الجهالة وقلة الفكر

الامبراطور — هذا يطلق على العامَّة والطغام ولكنهُ لا يطلق على الوزراء والمشيرين

بلين — ولا انا اعني ذلك وانما اقول ان تشوُّق العامَّة الى الحرب سببهُ الجهل

الامبراطور — قل لي كيف يكون تأثيرها في همبرج

بلين — ذلك يتوقف على مَن تكون لهُ سيادة البحار فاذا امكننا باسطولنا الاصغر .

الامبراطور — ولكنهُ الاقوى

بلين — ان نسود على البحار فهمبرج تتقدَّم تقدماً لا مثيل لهُ والاَّ حلَّ بنا الدمار من وراء هذه الحرب

الامبراطور — اواهُ يا بلين ما اصعب هذه الاحوال . لا تفارقني اذهب وقل للقونتة اما اني اريد ان تبقى هنا هذه الليلة . وبعد حين سادعوك لتمشي في الروض وتتحدَّث معي

وخرج بلين ودخل ولي العهد

ستأتي البقية

الباب الرابع عشر

عمل المكروبات في التربة الزراعية

اهتم علماء البكتيريولوجيا بعمل المكروبات الارضية فراقبوا ما تحدثهُ من التغيرات البكتيريولوجية في التربة الزراعية توفيراً لغذاء النبات ثم لكي يسهلوا درس تلك التغيرات قسموا اغذية النباتات الى قسمين احدهما ما يستمد من الجو كالاكسجين والنيتروجين الجوي وثاني اكسيد الكربون والماء وثانيهما ما يستمد من التربة من الاملاح كالنيترات والفصفات والكبريتات لعناصر البوتاسيوم والكلسيوم والمغنيسيوم والصوديوم وغيرها . وجه العلماء اهتمامهم الى النيترات من القسم الثاني بعد ان جمعوا ما تحتهُ في طائفتين طائفة الاملاح النيتروجينية وطائفة الاملاح غير النيتروجينية . اما اسباب اهتمامهم بالنيترات من هذا القسم خاصة فكثيرة منها انها تتكون في الاراضي الزراعية من المواد الآلية النيتروجينية وتكونها لا يتم الاَّ بعمل المكروبات . ومنها انها مع ضرورتها للتغذية النباتية وكونها موجودة في التربة بنسبة قليلة تكون على الدوام عرضة للنقص بسرعة ذوبانها في الماء وتسربها الى ما تحت التربة . ومنها انها ذات قيمة في التجارة فلا يتحصل عليها الاَّ ببذل اثمان مرتفعة لندرتها وشدة الحاجة اليها . لذلك اهتم العلماء بالبحث فيها وفي اسباب تكونها وتعويض ما تفقدهُ التربة منها وبناء عليهِ فان اهم عمل للمكروبات الارضية تكون غايتهُ تكوين تلك النيترات لتتوفر اغذية النباتات

لفهم تكون النيترات في التربة الزراعية يجب ان نبحث فيما يطرأ على المواد الآلية النيتروجينية من التغيرات البكتيريولوجية وهي تنحصر في ثلاث عمليات كبرى هي النشدرة[1] وتحول النشادر الى نيترات او النترجة وعكس النترجة

النشدرة

متى تم انحلال المواد الآلية النيتروجينية المختلطة باجزاء التربة الزراعية مرت بقايا النباتات او الاجسام الآلية تكوَّن منها النشادر في شكل غازي بعمل طوائف من الاحياء الدنيا تنمو بالحوامض الارضية لتتكون املاح النشادر المعروفة او تتحد بمركبات اخرى

(١) اي Ammonification عربت من الكلمة بكلها نشدرة كما عربت كلمة Nitrification بنترجة

لتكون مركبات نشادرية مختلفة على انهُ في اثناء تكونهِ يتصاعد جانب منهُ الى الجو ثم يعود الى الارض مذابًا في مياه المطر. من السهل ان يتحقق الانسان تصاعد غاز النشادر الى الجو باستنشاقهِ في الاماكن التي يتكون فيها كالاصطبلات ونحوها ومن السهل كذلك ان يتحقق وجودهُ ذائبًا في مياه الامطار باختبارها عليًا

لم يهتدِ العلماء الى تحقيق التفاعلات الكيماوية المسببة عن عمل الاحياء الدنيا لتكون النشادر ولكنهم يؤكدون ان الحوامض « الامينية » اول ما يتكون في هذه التفاعلات بعمل مكروبات التعفن في المواد الآلية النيتروجينية ويقولون ان الحوامض[1] المذكورة اما ان تتحد بالماء فتتكون مركبات ابسط منها اخصها النشادر او تتحد بالاكسجين فتتكون مركبات اخرى بسيطة منها النشادر اعني ان الحوامض الامينية تتهدرت او تتأكسد وفي اثناء ذلك ينشأ النشادر

واول من حقق ان تكون النشادر في التربة الزراعية نتيجة عمل الاحياء الدنيا العالمان منتز[2] وكودن[3] فانهما بما اجرياهُ من عمليات تعقيم التربة اثبتا ان تكوُّن النشادر عملية بكتيريولوجية اذ لو لم تكن كذلك لما تعطلت العملية بالتعقيم . ثم قام العالم مارشال[4] بابحاث اخرى في سنة ١٨٩٣ عن طريقة تكون النشادر في التربة تمكن فيها بتحاليل بكتيريولوجية وميكولوجية لجملة اراضٍ زراعية من فصل احياء دنيا مختلفة درس تأثيرها في المحلولات الزلالية (الالبيومينية) وقد عُرف ان الاكثر شيوعًا منها اثنا عشر نوعًا تحلل الزلال فيتكون النشادر. منها باسيلوس ميكويديس[5] وباسيلوس فلجاتوس[6] وبروتيوس فلجاريس[7] وباسيلوس بيوتيدوس[8] ومكروكوكوس كنديكانز[9] وهي من مكروبات التعفن التي توجد في الاراضي الزراعية المتعادلة في الحموضة والقلوية او القلوية والفطر بنيسيليوم جلوكوم[10] وميكورميوسيدو[11] وميكورراسيموسس[12] وانواع من تورتيس[13] وتورولا[14] التي تكثر في الاراضي الحمضية المشتملة على كميات عظيمة من المواد الآلية وقد اهتم مارشال بباسيلوس ميكويديس اكثر من غيرهِ لما اتضح لهُ من انهُ اقوى تلك الاحياء واشدها فعلاً

---

(١) ان الحوامض الامينية وان كانت نابعة التركيب نظريًا لا تحل بسهولة الا ان بعض التفاعلات الكيماوية الخاصة تحلل تلك الحوامض فيتكون بسببها النشادر كما

(٢) A. Mantz (٣) H. Coudon (٤) Emile Marchal (٥) Bs. Mycoides (٦) Bs. Vulgatus (٧) Proteus Vulgaris (٨) Bs. Putidus (٩) Micrococcus Candicans (١٠) Penicillium glaucum (١١) Mucor mucedo (١٢) Mucor racemosus (١٣) Botrytis (١٤) Torula

في تكون النشادر فدرسهُ منفصلاً وقارن عملهُ بعمل غيرهِ وقرر انهُ يحول ٤٦ في المائة من نيتروجين زلال البيض الى نشادر بينما پروتيوس ڤلجاريس يحول ٣٦ في المائة وباسيلوس ڤلجاتوس يحول ٣٠ في المائة فقط وذلك في مدة عشرين يوماً

ان عملية التأكسد التي تقع في الحوامض الامينية وغيرها من المواد الآلية النيتروجينية تعتبر عملية بسيطة ضرورية لحياة المكروبات وتنحصر على رأي بعض العلماء في امتصاص الاكسجين الجوي باتحادهِ مع الكربون في المواد المذكورة ليتكون ثاني اكسيد الكربون بينما يتولد النشادر من اتحاد النيتروجين بالهيدروجين اثناء العملية

والنسبة التي تكون بين النشادر وثاني اكسيد الكربون المتكونين في هذه العملية كنسبة ١ : ٨٫٩ اي لا يتكون واحد من النشادر الاَّ اذا تكون ثمانية وتسعة اعشار من ثاني اكسيد الكربون . على ان هذه النسبة لا تعتبر في نظر العلماء كاملة اذ المقرر انهُ لاجل تأكسد عناصر الكربون والهيدروجين والكبريت الموجودة في ذرة من الزلال تأكسداً كاملاً يجب ان تكون النسبة اصغر من ذلك ويؤكد عدم تمام عملية التأكسد بقاء مركبات قابلة للتأكسد كاللوسين والتيروسين والحوامض الدهنية

هذا وقد لوحظ في العملية السابقة عدم ضرورة وجود الاكسجين المطلق اذ امكن المكروبات المزروعة في محلول مشتمل على سكر ونيترات ان تحصل على الاكسجين الضروري لها من النيترات التي تحللها وفي الوقت نفسهِ يتكون النشادر في هذه العملية

من المواد الآلية النيتروجينية المواد البولية كاليوريا والحامض اليوريك والحامض الهيبوريك وهذه يتكون النشادر منها بواسطة طائفة من المكروبات تعرف بمكروبات اليوريا يتم عملها بواسطة انزيم اليوراز الذي تفرزهُ فيحول المواد المذكورة الى كربونات النشادر

كانت ابحاث العلماء في تكون النشادر في اول الامر كيماوية اكثر منها بكتيريولوجية ولكنها منذ سنوات صارت بكتيريولوجية صرفة فقد عرف العلماء كثيراً من المكروبات التي تكون النشادر من المواد الآلية النيتروجينية المعقدة وعلى الخصوص المكروبات التابعة لطائفتي سبتيليس وكولاي وهم يفضلون درسها كطائفة فسيولوجية واحدة لتقدير وظيفتها الحيوية بدلاً من فصل انواعها ودرس كل منها على حدة واول من اشار باتباع هذه الطريقة الفسيولوجية في مسائل التربة الزراعية هو العلامة رمي[1] في سنة ١٩٠٢ . اما هذه الطريقة فتنحصر في تلقيح محلول من البپتون محضراً بنسبة ١ بپتون الى ١٠٠ من الماء بمقدار من التربة

(1) Remy

ثم يترك اربعة ايام في حرارة على درجة ٢٠ سنتغراد فيتكون النشادر ويعتبر النشادر المتكون مقياساً لقوة النشدرة الحاصلة في التربة . وعليهِ فقد توصل رمي بهذه الطريقة الى الحكم على بعض الاراضي الزراعية المعروفة بخصبها بان ذلك نتيجة استخدام الاسمدة الآلية التي ارتفعت بها قوة النشدرة فيها وكذلك لاحظ العالمان لوهنس[1] وبار[2] بعد تجارب اجريا على تكون النشادر في التربة ان قوة النشدرة تنخفض في الشتاء ثم ترتفع في الربيع وتبقى مرتفعة حتى اواخر الخريف ولا بد ان يكون السبب راجعاً الى نشاط المكروبات في سائر فصول السنة وعدم نشاطها في الشتاء

لم تسلم طريقة رمي من النقد فقد لاحظ عليها العالمان ستيفنس[3] ووذرس[4] يتعذر تطبيقها تطبيقاً مطرداً على التربة الزراعية اذ من الصعب معرفة ما يتم فيها تماماً لان نشاط المكروبات يتوقف على شروط منها درجة الحرارة والحموضة والقلوية مما لا يتوفر البحث فيهِ بحثاً كاملاً في معمل بكتيريولوجي ومع ذلك فانهما يعترفان لفائدة هذه الطريقة من وجهة انها تفيد في الاختبارات التحليلية فقط كما وقع للعالم ليمان[5] في تجاربهِ سنة ١٩١١ فانهُ اختبر بهذه الطريقة بعض الاسمدة الآلية النيتروجينية التي تحدث فيها عملية النشدرة بسرعة اكثر من غيرها

اذا كانت طريقة رمي قاصرة عن تقدير قوة النشدرة في التربة الزراعية تماماً فقد امكن بعض العلماء الوصول الى نتيجة احسن بدراسة القوة التي لتكون بها النيترات في التربة المذكورة اذ من السهل تقدير النيترات بالضبط بخلاف النشادر ومع ذلك فمتى علمت قوة تكون النيترات امكن العلم بقوة تكون النشادر لتكافؤ القوتين

لا يقف عمل المكروبات الارضية في تكون النشادر عند تحليل المواد الآلية النيتروجينية بل في استطاعتها ان تحلل مركبات نيتروجينية غير آلية كسيناميد الكلسيوم[6] فانهُ بتحليلهِ يتكون النشادر وكربونات الكلسيوم وكمركبات الفروسيانيد[7] وغيرها فان المكروبات تحللها في التربة وبتكون منها مركبات نشادرية

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

(١) Lühnis (٢) Perr (٣) Stevens (٤) Withers (٥) Lipman (٦) Calcium cyanamide (٧) Ferrocyanids

موسم القطن المصري

وتقديره

يظهر مما ورد الى الاسكندرية من القطن حتى اواخر اغسطس ان الموسم لا يبلغ ستة ملايين ونصف من القناطير الاَّ اذا ثبت ما يقال وهو ان بعض الدوائر الكبيرة خزنت قطنها ولم تبعهُ ولا ارسلتهُ الى الاسكندرية . واذا صدق ما يقال من هذا القبيل فلا يحتمل ان يزيد الموسم على ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون ولذلك اخطأ الذين قدَّروهُ اولاً بثمانية ملايين او حوالَيها وحسبوا ان المقطوعية لا تزيد على اربعة ملايين فيبقى منهُ اربعة ملايين الى الموسم المقبل وطلبوا تقليل الزمام الذي يزرع قطناً فقُلِّل نحو الثلث . ولكن المقطوعية زادت كثيراً عمَّا قدَّروها وبلغ الصادر حتى اواسط اغسطس اكثر من ستة ملايين قنطار

ومن الغريب ان الولايات المتحدة اخذت نحو مليون قنطار وثلث اي زاد ما اخذتهُ نصف مليون قنطار عمَّا اخذتهُ في العام الماضي . وهذا الامر اي اخذ الولايات المتحدة لهذا المقدار الكبير من القطن المصري وهي بلاد القطن يؤيد ما قلناهُ مراراً وهو انهُ لا يخشى ان تقلَّ مقطوعية القطن المصري اذا رخص سعرهُ وعرف الغزالون قيمتهُ . فقد صار ما تأخذهُ الولايات المتحدة من القطن المصري نصف ما تأخذهُ انكلترا منهُ مع رخص القطن الاميركي في اميركا وكون مغازلها مصنوعة لغزل قطنها . ويظهر لنا انهُ لو عرف كل اصحاب المغازل في اميركا وفي سائر المسكونة مزايا القطن المصري لتسابقوا الى ابتياعهِ ولو صار عشرة ملايين قنطار وعاد سعرهُ الى ما كان عليهِ منذ سنتين

والاسلوب الموصل الى ذلك ليس سهلاً ولا هو قليل النفقات ولكن فائدتهُ كبيرة جداً تستحق ان يضحَّى في سبيلها الوف الجنيهات ولو استُشرنا في الامر لأشرنا ان تؤلف لجنة من البارعين في عرض القطن القادرين على الاقناع بقوة حجتهم وانيط بها ان تطوف على معامل الغزل والنسج في اوربا واميركا واسيا تعرض عليها عينات من القطن المصري وتبين لها مزاياهُ واساليب تصديرهِ اليها . وسنتوسع في هذا الموضوع في فرصة أخرى

والآن يجب ان يعلم كم يبلغ الموسم المقبل لان سعرهُ يتوقف على مقدارهِ . ففي العام الماضي كان زمام زراعة القطن ١٧٥٥٠٠٠ فدان والمرجح ان محصولها لا يزيد على ستة ملايين ونصف من القناطير . والآن زمام زراعة القطن ١١٨٠٠٠٠ فدان فقط فاذا جاء محصول الفدان كما كان في العام الماضي بلغ المحصول كلهُ نحو اربعة ملايين و ٢٦٧ الف

قنطار فقط اي نحو اربعة ملايين وربع . واذا رجعنا الى متوسط محصول الفدان في السنوات العشر السابقة وجدناه كما في هذا الجدول

سنة ١٩٠٤	٤٫٣٩	القنطار
» ١٩٠٥	٣٫٨٠	»
» ١٩٠٦	٤٫٦١	»
» ١٩٠٧	٤٫٥١	»
» ١٩٠٨	٤٫١٢	»
» ١٩٠٩	٣٫١٣	»
» ١٩١٠	٤٫٥٧	»
» ١٩١١	٤٫٣١	»
» ١٩١٢	٤٫٣٥	»
» ١٩١٣	٤٫٤١	»
والمتوسط لهذه السنين	٤٫٢١	

اي ان متوسط حاصل الفدان في السنوات العشر الماضية كان اربعة قناطير و ٢١ في المئة من القنطار فاذا حسبنا متوسط محصول الفدان هذه السنة مثل متوسط محصول السنوات العشر الماضية بلغ محصول هذه السنة ٤٩٦٧٨٠ اي اربعة ملايين و ٩٦٧ الف قنطار و ٨٠٠ قنطار او اقل من خمسة ملايين قنطار . واذا حسبنا متوسط محصول الفدان هذه السنة مثل احسن سنة من السنوات العشر الماضية اي سنة ١٩٠٦ حينما بلغ متوسط محصول الفدان ٤٫٦١ (اربعة قناطير و ٦١ في المئة من القنطار) بلغ المحصول كلهُ هذه السنة ٤٣٩٨٠٠ اي خمسة ملايين و ٤٣٩ الفاً و ٨٠٠ قنطار او اقل من خمسة ملايين ونصف مليون قنطار

ولا يخفى ان وزارة الزراعة مسئولة عن تقدير موسم القطن بما يمكن من الدقة . وهذا اهم عمل من اعمالها لان تقديرها هذا يؤثر في ارتفاع الاسعار وانخفاضها . فاذا جاء تقديرها كبيراً اكثر من الحقيقة هبط سعر القطن وخسرت البلاد خسارة كبيرة تقدر بملايين الجنيهات . واذا جاء تقديرها اقل من الحقيقة فالتجار المضاربون الذين يصدقون تقديرها ويذهبون على الصعود يشترون بالغالي ويبيعون بالرخص فيخسرون كثيراً ولا يربح الاَّ بعض المزارعين الذين يرتابون في تقديرها ويغتنمون الفرصة ويبيعون محصولهم سريعاً قبلما تعلم

حقيقة الموسم وتهبط الاسعار . واما جمهور الملاك فيغترون بتقديرها ولا يبيعون محصولهم منتظرين ارتفاع الاسعار فيخسرون . ولا فائدة حقيقية للقطر الأ اذا جاء تقدير وزارة الزراعة مطابقاً للواقع فيثق به الناس في المستقبل ويربطون الاسعار بحسبه . وغاية ما يرجى منها الآن ان تهتم بهذه المسألة الاهتمام الواجب وتقدر المحصول بما يمكن من التحقيق مراعية المساحة المزروعة والآفات العادية التي تنتاب القطن في هذا الشهر والذي يليه

صادرات القطن الاميركي

بلغت صادرات القطن الاميركي الى اوربا كلها ٨٣٢١ ١٨٢ بالة من اول اغسطس سنة ١٩١٤ الى ٣٠ يونيو سنة ١٩١٥ يقابل ذلك في هذه المدة من الموسم السابق ٨٨٠١ ٧٥١ بالة وقد صدر منها الى البلدان التالية ما يأتي (والبالة خمسة قناطير)

	موسم ١٩١٢ — ١٩١٤	موسم ١٩١٤ — ١٩١٥
الى النمسا	٠٩٧٣٨٩ بالة	٠٠٠٠٠٠٠ بالة
« المانيا	٢٦٦٤٠٣٣ «	٠٢٤٢٦٦١ «
« الدغارك	٠٠٠٠١٠٠ «	٠٠٣٥٢٥٧ «
« ايطاليا	٠٤٦٢٠٧٣ «	١٠١٨٤٦٩ «
« هولندا	٠٠٣٣٨٢٢ «	٠٥٠١٧٦٠ «
« نروج	٠٠٠٣٥٢٥ «	٠٠٥٤٦٦٦ «
« اسوج	٠٠٤٦٢٦٦ «	٠٧٤١٦٣٧ «
« اسبانيا	٠٢٤٩١٨٥ «	٠٤١١٣٢٢ «
المجموع	٣٥٥٦٦٩٣ «	٣٠٠٥٧٧٢ «
« بريطانيا	٣٢٩٠٣٤٢ «	٣٥٩٣٦١٢ «
« فرنسا	١٠٧٢٥٨٢ «	٠٦١١٤٨٠ «
« روسيا	٠٠٨٨٦٨٣ «	٠٠٥٩٢٠٩ «
المجموع	٤٤٥١٦٠٧ «	٤٢٦٤٣٠١ «
المجموع الكلي	٨٠٠٨٣٠٠ «	٧٢٧٠٠٧٣ «

وواضح من ذلك ان صادرات القطن الى ايطاليا وهولندا واسوج ونروج والدغارك لم تزد هذه الزيادة الأ لايصال القطن الى المانيا والنمسا فان الوارد الى هذه الممالك زاد نحو مليوني بالة

الصادرات الزراعية المصرية

بلغ مقدار الصادرات الزراعية هذا العام حتى ٣٠ اغسطس ما تراهُ في الجدول التالي مقابلاً بما صدر في العام الماضي الى هذا التاريخ

	١٩١٥	١٩١٤
قطن	٦ ١٨٧ ٧٨٨ قنطاراً	٧ ٣٥٢ ٧٠٤ قناطير
بزرة	٣ ٥٢٣ ١٠٣ اردب	٣ ٦٤١ ٨٤٢ اردبًا
كسب	٠ ١٠٠ ٩٧٥ طنًا	٠ ٠٧٥ ٣٠٠ طنًا
فول	٠ ٠٩٨ ٢٤٦ اردبًا	٠ ٠٠٠ ٦٨٩ اردبًا
شعير	٠ ٠٠٠ ٢٦٠٢ »	٠ ٠٠٠ ٢٢٠٣ »
قمح	٠ ١٥١ ٩٧٠ »	٠ ٠٠٠ ٠٢٠ »
عدس	٠ ٠٤٦ ٨١٢ »	٠ ٠٠٠ ٠٢٧ »
ذرة	٠ ٢٦٤ ٩٠١ »	٠ ٠٠٠ ٢٤٠ »
بصل	٠ ٤٦٥ ٩٩٦ كيسًا	٠ ٤٢١ ٣٧٢ كيسًا

ويظهر من ذلك ان الصادرات الزراعية كلها زادت زيادة كبيرة ما عدا القطن لانقطاع ما كان يصدر منهُ الى المانيا والنمسا وروسيا ولولا ما صدر الى المانيا والنمسا بطريق بعض البلدان المحايدة لكان الصادر من القطن اقل من ذلك ايضاً . اما الموسم الحالي الذي يبتدئ في اول سبتمبر هذا فاذا لم يزد على اربعة ملايين ونصف الى خمسة ملايين قنطار فلا خوف من كسادهِ لان انكلترا وحدها تأخذ منهُ اكثر من مليوني قنطار وفرنسا وايطاليا تأخذان منهُ نحو مليون قنطار واميركا تأخذ اكثر من مليون هذا عدا ما تأخذهُ اليابان وسائر بلدان الشرق الاقصى . واذا فتح الدردنيل هذا الخريف او في الشتاء المقبل او اذا وضعت الحرب الاوربية اوزارها قريباً فالموسم الحاضر والمتأخرات في الاسكندرية لا يبقى منها شيء الى اغسطس المقبل على الراجح . وكل ذلك يدعو الى رفع سعر القطن ولكن سعرهُ لا يتوقف عليها وحدها بل يتوقف ايضاً على سعر القطن الاميركي وقوة المضاربة

اما زيادة الصادرات الزراعية فلا تقوم مقام الخسارة من هبوط سعر القطن وقلة الصادر منهُ لان ثمن كل ما زاد في صادرات الفول والقمح والعدس والذرة ليس اكثر من ٦٠٠ الف جنيه او حواليها فهو بمثابة صعود عشرة غروش في قنطار القطن لاغير

باب تدبير المنزل

قد رأينا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللبن

تعقيمهُ وتركيبهُ وغشهُ

اللبن او الحليب اكثر مواد الطعام شيوعاً بين الناس يرضعهُ الاطفال في السنة الاولى من عمرهم ويكون مدار تغذيتهم عليهِ في السنوات التالية لها على التالب . ومنهم من يقطع عن تناولهِ الاَّ في احوال قليلة ومنهم من يتخذهُ طعاماً لهُ الى آخر العمر يشربهُ مع طعام الصباح ويطبخ منهُ الرائا شتى يتناولها مع اطعمة اخرى . وزد على هذا كلهِ انهُ طعام السقماء يجوز لهم تناولهُ حينما لا يجوز لهم تناول غيرهِ . ويظهر كذلك انهُ احد مقاييس المدنية الحاضرة . فالامم التي تكثر من تناولهِ هي ارقى في سلم الحضارة من المقلة منهُ . خذ الولايات المتحدة الاميركية ومنزلتها بين الامم معروفة فان متوسط ما يتناول الاميركي من اللبن كل يوم يبلغ بين نصف رطل وثلثي رطل اي ان الامة كلها تشرب كل يوم منهُ بين ٥٠ و ٦٠ مليون رطل . ومتوسط ثمن الرطل هناك بالمفرق ½ غرش فثمن الجميع بين ٢٥٠ و ٣٠٠ الف جنيه . هذا في اليوم فيكون ثمن ما يشربونهُ في السنة نحو ١٠٠ مليون جنيه

اول ما يجب عملهُ بعد حلب الماشية من بقر وجواميس ان يؤخذ اللبن الى غرفة نظيفة فيصفى بقطن منقم ثم يبرد حالاً لمنع نمو البكتيريا وتكاثرها فيهِ . فقد عرف بالاختبار ان الميكروبات في اللبن المحفوظ تحت حرارة قدرها ٥٠ درجة بمقياس فارنهيت (١٠ س) تبيت في ٢٤ ساعة خمسة اضعاف ما كانت عند حلب اللبن . اما اذا كانت حرارة اللبن ٧٠ فارنهيت (٢١ س) فانها تزيد ٧٥ ضعفاً . وقد سنت بعض البلاد قوانين توجب فيها على باعة اللبن ان يحفظوهُ قبل بيعهِ على حرارة لا تزيد عن ٥٠ او ٥٥ درجة بميزان فارنهيت

ومما يدل على فضل العناية والنظافة والبرد في بقاء اللبن سليماً مدة طويلة هو ان ثلاث شركات اميركية عرضت لبنها في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فبقي معروضاً اربعة اسابيع في فصل الصيف من غير ان يفسد

تعقيم اللبن

تعقيم اللبن او « بسترته » لجبة الى بستور يقوم بتسخينه الى ما بين الدرجة ١٤٠ و ١٤٥ ف (٦٠ — ٦٣ س) وابقائه على تلك الحرارة ٢٠ الى ٣٠ دق وبذلك تموت مكروبات جميع الامراض التي تنتقل مع اللبن . ويجوز رفع الحرارة الى ما هو أعلى من ذلك لتقصير مدة التعقيم ولكن عدم رفعها افضل لان رفع الحرارة قد يفضي الى تغيرات كيماوية في بعض المواد التي يتركب اللبن منها ولان الحرارة العالية تقتل عدداً كثيراً من مكروبات الحامض اللبنيك في حين انها لا تقتل المكروبات التي هي مصدر الفساد والانحلال في المادة الجبنية التي في اللبن وعليه اذا ابقي اللبن طويلاً فقد يفسد ويصبح غير صالح للشرب قبل حموضته

تركيب اللبن

عرّف العلماء اللبن بانهُ محلول مائي مؤلف من سكر اللبن والالبيومن (الزلال) وبعض الاملاح . ويعوم في هذا المحلول كريات دهنية ومادة معدنية والمادة الجبنية المعروفة باسم كاسيين مع مواد اخرى قليلة . اما صفرة اللبن فسببها وجود مادة صفراء في الدهن واما كثافتهُ (اي عدم شفوفهِ) فسببها وجود الدهن والجبن ونوصفات الكلسيوم فيهِ

ونسبة المواد المذكورة بعضها الى بعض فيهِ تختلف باختلاف عدة حالات اهمها النوعية والاصل والرضاعة وفصل السنة والعلف ووقت الحلب وكيفيتهُ الى غير ذلك . وكما قل لبن البقرة او الجاموسة كان اكثر احتواء للمواد الدهنية والمتطلبة . والغالب في اوربا ان يكون لبن الشتاء ادسم من لبن الصيف ولاسيما ان المواشي تعلف أطعاماً جافّاً كلهُ غذاء . ويقال بالاجماع إن متوسط نسبة المواد المذكورة بعضها الى بعض في لبن البقر هي على ما يأتي : دهن ٤ في المئة . مواد جبنية ٣٫٣٣ في المئة . كربوهيدرات ٤٫٨٥ . مواد معدنية ٧٢ ٠ ٠ جوامد غير دهنية ٨٫٩٠ والباقي ماء . اما المواد المعدنية فهي الكبريت والفصفور والكلور والصوديوم والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنسيوم والحديد

غش اللبن

في اللغة الانكليزية ترنيمة دينية اولها « هل تلقي عند النهر » . وفي بعض كتب الانكليز ان اصحاب المواشي يحبون ترنيم هذه الترنيمة . اخبرنا بعضهم ان معلماً سأل احد

تلاميذهِ لم يحب اصحاب المواشي الترنم بهذه الترنيمة فاجابهُ لكي يمزجوا لبنهم بالماء . فغش اللبن معروف في كل زمان ومكان لان الانسان انسان حيثما كان ولكن هذه الخصلة القبيحة فيهِ تزول بالتربية او تضعف

وغش اللبن يكون بطريقة من الطرق الآتية وهي مزجهُ ماء . ونزع قشدتهِ . واضافة بعض المواد اليهِ لاخفاء حموضتهِ وفسادهِ . اما مزجهُ ماء فذنب مزدوج لان الغرض منهُ الغش اولاً . ثم ان مزجهُ ماء قد يكون سبباً لادخال مواد ضارة عليهِ لان الماء لا يكون في الغالب نقيًّا

واما نزع قشدته فجرم يأتيهِ الذين يبيعون اللبن ويصنعون الزبدة على الغالب

واما المواد التي تضاف اليهِ فهي البورق او غيرهُ . وكثيراً ما يلوّن اللبن المغشوش بمادة صفراء كما يلون السمن ليوهم مشتريهِ بان قشدتهُ لم تنزع منهُ . ومنهم من يضيف اليهِ مادة مكثفة ليظهر ملآن مواد دهنية او يضيف اليهِ شيئاً من بيكربونات الصودا ليخفي حموضتهُ

ويقال ان اهل لندن يدفعون ثمن اللبن الذي يشربونهُ في السنة مليوناً ونصفاً من الجنيهات منها ٧٥ الف جنيه ثمن ماء يمزج بهِ اللبن . ومزج اللبن بالماء قديم العهد في الشرق بين العرب بدليل قول شاعرهم

حتى اذا جنَّ الظلام واختلطْ جاؤوا بمذقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطْ

والمذق اللبن الممزوج بالماء . يقول : فلما اقبل الليل جاؤوني بلبن قد اكثروا الماء فيهِ حتى ازرقَّ لونهُ فامسى شبيهاً بلون جلد الذئب

اما الطريقة المصطلح عليها لاكتشاف غش اللبن الممزوج بالماء فهي اخذ الثقل النوعي للبن وهو بين ١٠٢٩ و ١٠٣٢ فان كان اقلَّ من ذلك فاللبن مغشوش . وهناك طريقة اخرى وهي ان يوضع بعض اللبن في انبوبة ضيقة مقسمة الى درجات حتى تكون القشدة على وجه اللبن فان كان مجموعها ساريًا لعشر درجم اللبن كلهِ كان اللبن صحيحاً لا غشَّ فيهِ والاَّ فقد رفعت القشدة عنهُ لاول مرة . اما المواد التي تضاف الى اللبن لازالة حموضتهِ كما تقدمت الاشارة الى ذلك كالبورق والخاض الليسيليك فهي مهيجة للمعدة . والمرجح ان كثيراً من وفيات الاطفال مدة الصيف ناشئة عن هذا السبب

وتقاس صفة اللبن ايضاً باستعمال موازين خاصة بذلك وهي قليلة النفع اذا مزج اللبن بمواد مكثفة فلذلك لا يعول عليها وحدها في تحقق صفة اللبن

مقام اللبن بين الاطعمة

في كل رطل من اللبن العادي ٣١٤ فيجاً (اي وحدة من وحدات الحرارة) تقوم بذلك مساوٍ لنصف رطل من لحم البقر او لاربع بيضات ونصف بيضة من بيض الدجاج الكبير . والبروتايين الذي فيهِ عظيم القيمة في تغذيته فان ٩٧ الى ٩٨ في المئة منهُ يهضم ويمتص وله مزية على البروتايين الذي في الاطعمة الاخرى ومزيتهُ انهُ خالٍ من المواد التي تولد الحامض البوريك في الجسم وليس عرضة للفساد السريع في الامعاء

تأثير الهم والغم في الصحة

نشرت جريدة الديلي مايل مقالة بقلم طبيب جعل عنوانها « لا تعبس » بسط فيها تأثير الغم والكآبة في الاجسام قال :

من اصعب الامور في ابان الحوادث العظيمة والحروب الكبيرة ان يتخلص المرء من المخاوف ويتبذ القلق والغم ولكن المخاوف وما ينشأ عنها من القلق تولد الامراض في اجسام الاصحاء

لما قال الاستاذ متشنيكوف عبارتهُ الشهيرة وهي « اشربوا اللبن (ابن الزبادي) واحيوا الى الابد » كان الاطباء يعلمون ان جانباً عظيماً من الامراض والعلل التي يصاب بها الناس تأتيهم من امتصاص الدم لمواد سامة تنشأ في الامعاء في اثناء هضم الطعام . ولما بدأت هذه الحرب انشأ الدكتور جنن طبيب مستشفى الضباط في كنسنتن مقالات بيّن فيها ان الخوف والقلق يسهلان امتصاص الدم لهذه السموم وقد نشر هذا الطبيب في جريدة اللنست الطبية مقالة ضافية قسم فيها العواطف التي ينطوي تحتها مبدأ الخوف الى ابوابٍ منها باب القلق وباب الحزن (من جراء مصاب حاضر وتوقع مصاب مقبل) وباب اجهاد الجسم والعقل بالعمل والنصب (وينطوي تحتهُ الخوف من السوى) وباب خوف الانتقاد وباب الالم وما يتفرع منهُ من الانحطاط والاعياء والتعب . قال واذا اشتد الخوف بامرء او تولاهُ النصب او نحو ذلك من العواطف انفعل واشرف على الاغماء وقد يغمى عليهِ فعلاً . وان وراء هذه الاعراض الظاهرة اموراً اخرى تحدث في الجهاز الهضمي من جراء تغلب العواطف المذكورة

ويعلم الجراحون ان عمل العمليات الجراحية في البطن مثلاً يحدث تغييراً عظيماً كبير الشأن في الجهاز الهضمي بسبب ما يسمونهُ « الصدمة » فاذا صح ما يقولهُ الدكتور جنن فان هذا التغيير يقع بعضهُ في الجهاز المذكور اذا اشتد بالمرء الخوف او ملابساتهُ

واهم التغيير الحادث هو ان الامعاء تكبر وتغلظ فتتسع مساحة جدرانها من الداخل فتمتد هذه الجدران وتدق ويكثر الدم في الاوعية الدموية المجاورة لها فتدق جدرانها ايضاً وهذا التغيير يسهل امتصاص السموم التي تكون في الامعاء

اذا ابصر المرء منظراً مخيفاً او رأى ما يقشعر منهُ البدن فانهُ يشعر بضعف وخفقان في « قلبهِ » وسبب ذلك ان الاعصاب التي تتحكم في الامعاء تشل موقتاً فيبطل فعلها فتنتفخ الامعاء بما فيها من الغازات وتضغط القلب وتحدث فيهِ هذا الخفقان الذي يعتريهِ في مواقف الخوف فاذا اتقى العامل عادت الامور الى مجراها واستأنفت الاعصاب عملها وعادت الامعاء الى حجمها الطبيعي وارتفع ضغطها عن القلب ولعل ذلك هو اصل العادة الشائعة من قديم الزمان من شد الحقوين اذا عول المرء على الاقدام على عمل يقتضي شيئاً من الجرأة او التعب ومنهُ وصية الكتاب « بشد الحقوين »

ويعزو هذا الطبيب الدوار في البحر الى السبب عينهِ فان رؤية الامواج تحدث «صدمة» خفيفة كالتي تحدثها العمليات الجراحية في البطن على تفاوت في المقدار فتشل عضلات المعدة والامعاء ويشرع الدم يمتص المواد السامة التي في الجهاز الهضمي ويحتمل ان الدم متى سمم كذلك يهيج في الدماغ الجزء الذي يتحكم في القيء وسائر اعراض الدوار . ومما يؤيد هذا الظن ان شد الحزام على البطن يخفف الدوار وقد يمنعهُ

ومما يدل على تأثير الخوف في الاعضاء الباطنية وتعرض الدم لامتصاص السموم من القناة الهضمية ما هو معلوم ومشهور من ان الغم او القلق او الخوف يؤخر شفاء المريض والعكس بالعكس

وخلاصة ما تقدم ان قوة الجسم على مقاومة امتصاص السموم التي هي على الدوام في القناة الهضمية تتوقف على صحة المعدة والامعاء وهذه تتوقف على حالة المرء العقلية وما يتسلط عليهِ من الشعور والعواطف . فرباطة الجأش وتجرد الفكر من نعل الهموم والغموم يحسنان حالة القناة الهضمية ويقويانها ويمنعان امتصاص هذه السموم

خور القوى بعد الاربعين

ما يجب على الكهول

في تاريخ العمران شواهد جمة على ان كثيرين من عظماء الرجال جلّوا في حلبة السباق بعد ان جاوزوا سنّ الاربعين سواء كان ذلك في ميادين التجارة او السياسة او العلم او

الادب . وان معظم الذين اشتهروا منهم انما اشتهروا بعد الاربعين والذين اتوا جلائل الاعمال انما اتوها بعد الاربعين . مع ان المعروف عند الباحثين ان الناس عامة لا يبلغون الاربعين حتى يبدأوا يشعرون بانحطاط قوتهم البدنية وضعف قوتهم المعنوية من همة وعزيمة واقدام على عظائم الامور . وهذا ما كان يشعر به الشاعر العربي لما قال

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

كتب الدكتور بولدوان من اطباء الصحة في مدينة نيو يورك مقالة في « السينتفك اميركان » بعنوان لم « تخور قوى الرجال الذين يتجاوزون سن الاربعين » قال :

« سؤال هين . واذا اردت الجواب عنه فسل جمعيات تحريم المسكر تخبك ان المسكر سبب ذلك الخور . او عالماً من علماء كيمياء الطعام يقل لك ان سببه نبذ الطعام الطبيعي واحلال الصناعي محله . او جمعيات عفاف الشبان تخبرك بان الانغماس في الشهوات هو السبب . او جمعيات تحريم التدخين تنبئك بان الدخان هو السبب . او رجال الاعمال يخبروك بان سبب قصف الاعمار في اوائل الكهولة انما هو شدة الاندفاع في تيار الاعمال والاشغال اندفاعاً لا يعرف سكوناً ولا راحة

اما كون الناس اكثر عرضة للموت في اوائل الكهولة بعد الاربعين فظاهر من هذا الجدول وفيه مقابلة بين متوسط الوفيات في كل الف من اهل اميركا سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩١١

السن	سنة ١٩٠٠	سنة ١٩١١
تحت ٥	٥٤٫٢	٣٩٫٨
٥ الى ٩	٠٤٫٧	٠٣٫٤
١٠ « ١٤	٠٢٫٩	٠٢٫٤
١٥ « ١٩	٠٤٫٩	٠٣٫٧
٢٠ « ٢٤	٠٧٫٠	٠٥٫٣
٢٥ « ٣٤	٠٨٫٣	٠٦٫٧
٣٥ « ٤٤	١٠٫٨	١٠٫٤
٤٥ « ٥٤	١٥٫٨	١٦٫١
٥٥ « ٦٤	٢٨٫٩	٣٠٫٩
٦٥ « ٧٤	٥٩٫٦	٦١٫٦
٧٥ فما فوق	١٤٦٫١	١٤٧٫٤

فترى من هذا الجدول ان كهول الاميركيين لا يعيشون في هذا الزمان قدر ما كان الكهول قبلهم يعيشون وهذا الامر يزعجهم ويدهشهم ولا سيما ان متوسط الوفيات آخذ في الهبوط منذ ٢٠ سنة . فهل اخطأ الاحصائيون في احصائهم ؟ كلا لم يخطئوا ولكن من يمعن النظر في هذا الجدول يرى ان متوسط الوفيات في الطفولة والحداثة هبط هبوطاً عظيماً اي ان اعظم ما فازت به وسائلنا الصحية هو انها اقتصدت في موت الاطفال اقتصاداً كثيراً واقتادتهم الى الحداثة فالشباب فاواسط الكهولة لتراهم يموتون عند هذا الحد باسرع مما كان الكهول يموتون في السنين السابقة . وهذا الامر يفيدنا في معرفة السبب الحقيقي الذي افضى الى زيادة متوسط الوفيات في الكهولة وما بعدها وهو ان كثيرين من الاحداث الذين انجيناهم من الموت في الصغر تعوزهم قوة المقاومة الحيوية فتغلبهم امراض دور الكهولة وعليه القول ان من جملة الاسباب التي تؤدي الى خور قوة الرجال بعد الاربعين كونهم اصيبوا في طفولتهم بمرض او اكثر من امراض الطفولة كحمى الدق او القرمزية او الحصبة او الدفتيريا او غيرها

ومعظم الامراض التي يموت بها الكهول في هذه السنين هي امراض القلب والشرايين ومرض بريط وبعض امراض الجهاز العصبي . ولهذه الامراض علاقة بعضها ببعض وكثيراً ما تكون اسبابها مشتركة . ومن هذه الاسباب السكر والتدخين والزهري والنقرس والروماتزم والافراط في الاكل وخصوصاً اكل اللحم والسم بالرصاص واجهاد العضلات بالاعمال اليدوية والتعرض للبرد والرطوبة والحر الشديد

وهناك عوامل كثيرة تعسر على رجال الصحة مقاومة هذه الامراض . منها ان هذه الامراض تدخل الاجسام خلسة فلا يشعر بها الا بعد تأصلها فيها . ومنها انهُ ليس من السهل الناع العليل بسبب المرض المتسلط عليه ولو عرفهُ الطبيب تمام المعرفة ومنها ان معظم الاسباب المذكورة آنفاً كالسكر والدخان والتخمة والزهري ذات علاقة عظيمة بشكل من اشكال الانغماس في الشهوات وهذه يصعب كبحها والتحكم فيها

ويؤخذ من الاحصاء ان متوسط الوفيات السنوية في اميركا ١٤ في كل الف من السكان . وعندي انهُ اذا امكن استئصال الزهري والسكر تمام الاستئصال هبط متوسط الوفيات المذكورة من ١٤ الى ١٢ في الالف كل سنة او الى ما تحت ذلك . وقلما تنشر الصحف الاميركية شيئاً عن الزهري بدعوى المحافظة على آداب اللياقة وهي دعوى كاذبة . ونتيجة عملها هذا ان قليلين من الاميركيين يعرفون شيئاً عن فتك هذا الداء الميآء فان ١٠

في المئة من البالغين مصابون به على القليل وهو يفضي بهم الى شقاء لا يوصف ثم الى الموت المبكر فضلاً عن ان له اليد الطولى في جعل مستشفياتنا تغص بالمجانين وبيوتنا بالبله وضعاف العقول . وان ٢٠ في المئة من الذين يدخلون احد مستشفياتنا الكبرى وهو مستشفى بلفيو مصابون بالزهري . ومع هذا كله لا تكاد ترى جريدة تسمي هذا المرض باسمه بل ترمز اليه بنعوت مختلفة كأن تسميه مرض الاجتماع او فساد الدم او غيرهما من الاسماء التي لا معنى لها

اما تأثير المسكر الديني في الصحة العامة فما لا يحتاج الى بيان ويستحيل الآن قياس ذلك التأثير بالدقة . ثم ان العاوفين من الاطباء مختلفون كثيراً في تأثير الخمور الخفيفة او البيرة مثلاً في الجسم ولكنهم مجمعون على ضرر المشروبات الروحية في مدمنيها

وقد كشف اخيراً عن ٧٠٠ من مستخدمي مصلحة الصحة في مدينة نيويورك فحصاً طبياً ومتوسط اعمار الرجال منهم ٣٣ ½ سنة والنساء ٣٢ سنة فوجد ان ٢,٨ في المئة منهم كثيرو السمن الى حد يتهدد صحتهم بالخطر . و ٣,٥ في المئة ضغط الدم في عروقهم يفوق المعتاد وفي البول بعض الزلال . و ١٣,٣ في المئة مصابون بعلل قلبية مختلفة في الشدة . ووجد ايضاً ان ٤٠ في المئة من المجموع اي ٣٢٧ من ٧٠٠ مصابون بامراض انت لم يعالجوها تصرت اجالهم وهم لا يعلمون انهم مصابون بها

ومغزى ما تقدم انه اذا قارب شخص ما حد الاربعين او جاوزه وجب عليه ان يستشير طبيبه في صحته مرة في السنة فيفحص جسمه فحصاً كلياً وفي الجملة قوله . ثم يجب عليه العمل بمشورة طبيبه بلا خلل . ومن الجهل الانتظار الى ان تظهر اعراض يشتبه فيها . فان الاعراض لا تظهر غالباً الا بعد فوات الفرصة

ومما لا بد من الاشارة اليه هنا خطر الافراط في الاكل . فان معظمنا فرائس للافراط لا للتفريط . ولغير ما تعمل ان تتبع مشورة جورج شاين الطبيب الانكليزي الشهير وهي : يجب على كل عاقل بلغ الخمسين ان يقلل كمية طعامه . واذا شاء ان يكون خلواً من العلل ذات الخطر وان يحفظ قواه سليمة الى النهاية ينبغي ان يخفض طعامه تخفيضاً كثيراً كل سبع سنوات وان ينزل من هذه الحياة كما صعد اليها حتى لا يتناول اخيراً الا طعام الطفولة » . والخلاصة ان الانغماس في الملذات على انواعها هو سبب خور القوى بعد سن الاربعين

ثياب السيدات

اثرت هذه الحرب اعظم تأثير في التجارة والاعمال والاحوال الاقتصادية بوجه الاجمال واحدثت تغييراً كبيراً في جميع ما الفهُ الناس حتى بلغ هذا التأثير ما لم يكن بالحسبان فقام الكتاب في الكثيرا اليوم يشيرون بوجوب اقتصاد النساء في ما يلبسن من الثياب في الحفلات والسهرات والنزهة

فقد كتب المستر روشفور مجوبر الى جريدة التيمس يقترح على نساء بلادهِ ان يحتمن لمدة الحرب ثوباً واحداً للسهرات والحفلات كما يفعل الرجال و يقتصرن عليهِ وان يفعلن مثل ذلك في البرانيط فيصطلحن على برنيطة رسمية للحفلات كالبرنيطة الحريرية التي يلبسها الرجال في الحفلات الرسمية وان يعتمدن على نوعين او ثلاثة من البرانيط للبس النهار في المدن والارياف

فكتبت اللادي تري تقول ان اختيار ثوب رسمي للنساء يلبسنهُ في السهرات والحفلات اقتراح نافع معقول وغير ما يصلح لذلك ثوب من الاطلس الاسود فانهُ يناسب جميع النساء وهو يلائم الايام التي نحن فيها

وقالت اللادي جارفاغ يستحيل ان تتفق النساء على ثوب خاص للسهرات والحفلات لانهن لا يتفقن على أي الاثواب اصلح من سواهُ فبعضهن يختار الالوان القاتمة والبعض يختار الالوان الزاهية . واصعب من ذلك اختيار نوع من البرانيط ومع ذلك فالمشروع حسن وجدا لو اتجهت الانظار الى تحقيقهِ

هذا و يليق بالشرقيات كلهنَّ ولاسيما باللواتي يستطعن ان يلبسنَ ما شئنَ من الملابس ولو كانت مطرزة بخيوط الذهب واسلاك اللؤلؤ ان يغتنمن فرصة العسر الحالي و يكتفين بالبسيط الساذج من الثياب والحلي الرخيص الثمن الذي يستر البدن ويريحهُ و يدل على الحشمة مع اللياقة والظرف . و يصعب على المتوسطات الحال ان يبتدئن بذلك ليكنَّ قدوةً لغيرهنَّ ولكنهُ لا يصعب على الغنيات لان الغنية معما لبست استُحسنت ثيابها عليها . ولو ارادت نساء الاواسط والاغنياء في هذا القطر ان يقتصدنَ في ملابسهنَّ لوفَّرن اموالاً كثيرة من الجنيهات كل سنة تكفي لانشاء مدارس كثيرة للبنات

الصناعة

الزجاج

الزجاج الذي تصنع منهُ الكؤوس والقناني والاباريق وما اشبه على ثلاثة انواع الاول مركب من البوتاسا والرصاص والثاني من الصودا والجير (الكلس) والثالث من البوتاسا والجير . وهذه الانواع الثلاثة اما ان تكون ملونة او خالية من اللون . والزجاج الصوافي او البلوري الكثير الاستعمال في انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة هو من النوع الاول اي من زجاج البوتاسا والرصاص . والزجاج البندقي من النوع الثاني اي من زجاج الصودا والجير . والزجاج البوهيمي من النوع الثالث اي زجاج البوتاسا والجير . وهاك جدولاً يظهر منهُ تركيب هذه الانواع الثلاثة

	سلكا	بوتاسا	أكسيد الرصاص	صودا	كلس	أكسيد الحديد والالومنيوم
زجاج البوتاسا والرصاص	٥٣٫١٧	١٣٫٨٨	٣٣٫٤٥	..	..	..
زجاج الصودا والجير	٧٣٫٤	..	.	١٨٫٥٨	٥٫٠٦	٢٫٣٨
زجاج البوتاسا والجير	٧١٫٢٠	١٣٫٧٠	..	٢٫٥٠	١٠٫٣٠	٠٫٤٠

والسلكا هي أكسيد السليكون الثاني او الرمل الابيض النقي والبوتاسا هي اكسيد البوتاسيوم الاول وكذلك الصودا اكسيد الصوديوم الاول و يعني عنهما القلي والنطرون او ما يستخلص منهما

فاذا اريد عمل الزجاج الخالي من الرصاص استعملت لهُ بواتق مفتوحة قطر الواحدة منها من ١٢ بوصة الى ٤٠ بوصة . واذا اريد عمل الزجاج الحاوي رصاصاً استعملت لهُ بواتق مغطاة ذات بيوت كخلايا النحل تسع ١٢ قنطاراً الى ١٨ قنطاراً

واتاتين الزجاج البندقي في جزيرة مورانو بالبندقية صغيرة واطئة تحمى باحراق الحطب وتمر الحرارة من الاتون الذي يصهر فيهِ الزجاج الى الفرن الذي يلين فيهِ . وعند بعض الصناع في البندقية افران صغيرة في دكاكينهم يصنعون بها الزجاج امامك و يلونونهُ بالوان بديعة تظهر بعد ما يبرد . وكثيراً ما رأينا الزجاجين في بيروت يذيبون الزجاج في موافد صغيرة و يصنعون الدمالج منهُ . والاتاتين في المانيا والنمسا واميركا تحمى بالغاز وفي انكلترا بالفحم الحجري

و بصنع الآنية المختلفة من القناني والكؤوس والاباريق رجال مدربون على ذلك والغالب انهم يقسمون فرقتين تعمل كل فرقة منها ست ساعات متوالية و يدوم العمل نهاراً وليلاً من صباح الاثنين الى صباح الجمعة ومتى وقف العمل صباح الجمعة يفرغ الزجاج الذائب من البواتق في الماء حتى يبرد ثم يجفف و يترك ويزج بشقف الزجاج والمواد التي يصنع الزجاج منها ويرد الى البواتق . ومتى اعيد العمل تحمى الاتاتين حمواً شديداً الى درجة البياض حتى يصهر ما فيها و يطرد منهُ ما فيهِ من الماء ثم تخفض الحرارة حتى يصير الزجاج في البواتق لزجاً يلصق جانب منهُ برأس ماسورة تغط فيهِ فاذا نفخ بهذه الماسورة انتفخ الزجاج اللاصق بطرفها و يتنوع شكلهُ حينئذٍ بادارة الماسورة وتحريكها حركات مختلفة

و يكون عند الزجّاج ادوات غير هذهِ الماسورة كالملاقط والمقارض والقوالب وآلات قياس السمك وما اشبه

وقد رأينا الزجاجين في معرض باريس يصنعون الآنية الزجاجية على اختلاف انواعها واشكالها و يتقشونها نقشاً بديعاً ولهم في ذلك مهارة فائقة . و يستحيل على طالب هذه الصناعة ان يتعلم كيفية العمل بها و يتقنهُ ان لم يمارسهُ في معامل الزجاج زمناً طويلاً لما يقتضيهِ من المهارة في حركات اليدين

وكانت الادوات الزجاجية من انابيب وكؤوس وقناني واباريق والواح وما اشبه تصنع كلها باليد حتى الواح المرايا فان اللوح منها يكون اسطوانة كبيرة يقطع طرفاها فتصير انبوباً ثم يشق جانب منهُ و يبسط فيصير لوحاً مستوياً اما الآن فصارت هذه المصنوعات تفرغ في قوالب تشكّل بشكلها وتنفخ بآلات معدة لنفخها وتنقش بآلات أخرى وسيأتي تفصيل ذلك

التمويه بالزئبق

استنبط مهندس من اهالي سويسرا اسمهُ شكوب اسلوباً بديعاً لتمويه المعادن مدارهُ على صهر المعدن بالكهربائية واطلاق مجرىً من الهواء شديد الضغط عليهِ من انبوب دقيق . فمجرى الهواء يجزىء المعدن المصهور الى دقائق صغيرة و يحملها و يلقيها على السطح المعدني الذي يراد تمويههُ بهِ . والآلة المصنوعة لذلك كهربائية يمرُّ بقطبيها سلكان من المعدن الذي يراد التمويهُ بهِ ولنفرض انهُ ذهب وانهُ يراد تذهيب لوح من الفضة فاذا اتصل هذان السلكان صُهرا في متصلهما ولما حركة احتكاك تجدد الجزء المصهور كلما دفعهُ الهواء المضغوط وهناك

انبوب دقيق يخرج منهُ الهواء الذي ضَغْطهُ نحو ٩٠ ليبرة على البوصة فيدفع الذهب المصهور رشاشاً دقيقاً ويلصقهُ بلوح الفضة

الفحم الحجري في انكلترا والمانيا

ظهر بالاحصاء انهُ استخرج من مناجم الفحم الحجري في انكلترا ٢٨٧٬٤٣٠٬٤٧٣ طناً سنة ١٩١٣ ومن مناجم المانيا ١٨٨٬٤٨٥٬٠٠٠ طن من الفحم العادي و٨٦ مليون طن من اللجنيت اي الفحم الحجري الذي لم يتم تكونهُ ويسميهِ الانكليز بالفحم الاسمر . اما انكلترا فاستهلكت من ذلك المقدار في ارضها نحو ١٩٠ مليون طن والمانيا نحو ١٥٦ مليوناً من الفحم العادي ونحو ٩٤ مليوناً من الاسمر اي أنها استوردت منهُ نحو ٨ ملايين طن من الخارج . فمتوسط ما استهلكهُ الانكليزي من الفحم في تلك السنة ٤٫١٠٨ من الطن والالماني ٣٫٦٨ من الطن . واستخدم الانكليز ٣٧ مليون طن لاستخراج غاز النور والفحم الكوك وحولوا ١٦ مليون طن الى كربون في معامل الغاز . اما في المانيا فبلغ مقدار ما حول الى كربون ٦٢ مليون طن وما استخدم لاستخراج الغاز ٩ ملايين . ولما كانت الكمية التي تحول الى كربون في الافران اعظم كثيراً في المانيا منها في انكلترا كان مقدار البنزول الذي يستخرج في المانيا اعظم منهُ في انكلترا بنسبة ما يحول من الفحم الى كربون فيهما . ولا تخفى اهمية البنزول او البنزين في الصناعات المختلفة ولاسيما ان فيهِ بين ١٠ و ٢٥ في المئة من التولوين وهذا لازم كل اللزوم لتركيب المادة الشديدة الانفجار المعروفة باسم تريتروتولوين . وقد قدر بعضهم انهُ يمكن استخراج ٥ جالونات من البنزين النقي و٤ جالون من التولوين النقي من كل مئة طن من الفحم حينما يحوَّل الى كربون

ومعلوم ان البنزين والتولوين والكسيلين التي تستخرج من البنزول والنفط هي المواد التي تصنع منها المواد الشديدة الانفجار والتي تستخدم اساساً تركيب الانيلين والتولويدين والكسيليدين ومن هذه يصنع كثير من انواع الصباغ والعقاقير الطبية كالصبغ الاحمر المعروف باحمر الكونغو والنيلي

وعلى ذكر التريتروتولوين نقول ان المانيا خزنت مقادير عظيمة منهُ قبل الحرب وان الحكومة الانكليزية حظرت قبل الحرب بستين ادخالهُ الى انكلترا بدعوى ما في شحنهِ من الخطر . والمعروف عند الخبيرين ان لا خطر منهُ الاَّ اذا صُدم بقوة عظيمة

باب المسائل

نحن نعقد هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) أن يمضي مسائلهُ باسمهِ واللقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا وبعين عروناً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) اتفاق ولف

مصر . جودت افندي هلال . نرجو ان تشرحوا لنا الاتفاق المعروف باتفاق ولف

ج . لولف اتفاقان الاول منهما تمهيد للثاني والظاهر انكم تريدون الثاني ولا محل للشرح فقد كتب لورد دلمر على هذا الاتفاق صفحات كثيرة في كتابهِ عن مصر حتى لم يبقِ قولاً لقائل وكتب عليهِ لورد كرومر ايضاً واهم بنود هذا الاتفاق البند الخامس ومفادهُ ان تجلي الجنود الانكليزية عن القطر المصري بعد ثلاث سنوات من تاريخ الاتفاق (وتاريخ توقيعهِ ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧) اذا لم يحدث في غضون ذلك خطر خارجي او داخلي يستلزم تأجيل الجلاء فاذا حدث خطر تأخر ثم تجلي حينما يزول الخطر وتبقى ادارة الجيش المصري العامة في يد انكلترا ستين بعد الجلاء (ولكن لم يذكر في هذا الاتفاق تعريف الخطر الذي يستلم تأجيل الجلاء ولا مَن يحكم بانهُ يستلزم ذلك) واذا خيف ان تغزى مصر او يقع فيها اضطراب داخلي يخشى منهُ على الامن او اذا ابت الخديوية المصرية ان تقوم بما يجب عليها نحو الدولة صاحبة السيادة او ان تقوم بعهودها لدول اوربا فالحكومة العثمانية تستعمل حقها في احتلال مصر عسكريًّا ويحق حينئذٍ للحكومة البريطانية ان ترسل جنوداً الى مصر تقوم بما يلزم لازالة الخطر . ثم ان الجنود البريطانية والجنود العثمانية تخرج من مصر حالما يزول السبب الذي دعا الى مجيئها اليهِ واذا لم تتمكن الجنود العثمانية من المجيء الى مصر لسبب من الاسباب قلها ان ترسل مندوباً من قبلها يبقى في القطر المصري مدة بقاء الجنود البريطانية فيهِ مع قائدها

ومن هذه البنود ايضاً البند السادس وهو ان تدعى كل الدول العظمى الموقعات لمعاهدة برلين ثم سائر الدول التي لها اتفاقات مع الخديوية المصرية للتصديق على هذا الاتفاق . وكتب السر درومند ولف الى الحكومة العثمانية انهُ اذا لم تصادق دولة من الدول المجاورة للبحر المتوسط على هذا الاتفاق

في الثلاث السنوات الاولى فانكلترا تعدّ ذلك من قبيل الخطر على مصر الذي يجيز لها تأجيل الجلاء

و يقول البند السابع انهُ يجب التصديق على هذا الاتفاق في غضون شهور من توقيعهِ وقد صدقت ملكة الانكليز عليهِ حالاً ولكن السلطان عبد الحميد ابى التصديق عليهِ خوفاً من روسيا وفرنسا اذ قيل لهُ انهُ ان صدق عليهِ ففرنسا قد تحتل سورية وروسيا ارمينية. وبعد جدال طويل غادر السر درومند ولف الاستانة في ١٥ يوليو اي بعد نحو شهرين من توقيع الاتفاق. وطلب السلطان بواسطة سفيرهِ في لندن ان يبدء المذاكرة في شأن هذا الاتفاق فكان جواب لورد سلسبري انهُ ما دام السلطان ينقاد الى بعض المشيرين الذين يحملونهُ اليوم على نقض ما اثبتهُ امس فكل اتفاق جديد عرضة للنقض كما نقض الاتفاق الاول

(٢) خطبة لورد كرومر

ومنهُ . نرجو ان تنشروا لنا الخطبة الرنانة التي القاها لورد كرومر قبيل رحيلهِ من مصر

ج . نشرناها في القطم الذي صدر وقت القائها ونشرناها ايضاً في جزء يونيو من المقتطف سنة ١٩٠٧ في مقالة عن لورد كرومر فيها صورتهُ

(٣) وصفة لتقوية الشعر

الاسكندرية . يوسف افندي غبور ذكرتم في المجلد ٣٧ من المقتطف صفحة ١٢١٠ وصفة لتقوية الشعر وفي مقتطف يوليو الماضي صفحة ٧٧ وصفة اخرى فايتهما اقوى فعلاً في تقوية الشعر

ج . ان فعل الاثنتين يتوقف بالاكثر على الدهان الهندي الذي هو الدرّاح والظاهر ان الاولى اقوى لان فيها ايضاً صبغة الفلفلة وزيت البترول وكلاهما من مقويات الشعر وزد على ذلك ان الماء كثير في الثانية فيضعف فعلها. ولكن الوصفة التي تفيد الواحد لا يلزم ان تفيد كل احد غيرهُ كما افادتهُ لاختلاف الاسباب التي تضعف الشعر واختلاف مقدار المادة التي تفرزها الغدد الدهنية وتلين الشعر

(٤) زيت الغاز لتقوية الشعر

ومنهُ . ألا يمكن ابدال زيت الغاز المذكور في الوصفة الاولى بغيرهِ او لا يمكن ان تضاف اليهِ مادة تزيل رائحتهُ

ج . يمكن الاستغناء عنهُ مطلقاً لان فائدتهُ غير كبيرة . ويمكن ان تزول رائحتهُ باضافة الطيوب القوية الرائحة ولكن تصير الوصفة غالية الثمن

(٥) اشتعال زيت الغاز

ومنهُ . ألا يخشى من اشتعل وصفة فيها زيت الغاز من الاشتعال اذا دنا من النار

ج . نعم اذا بل ثيابهُ بها ولكن اذا

دهن شعره بدرهم مثلاً منها فلا خوف عليه

(٦) اسماء بعض العقاقير

ومنه · ما اسم اللوندا وصبغة الذبان الهندي وصبغة الفليفلة وخلاصة الجابورندي السائلة بالافرنجية المعروفة في مخازن الادوية

ج · اللاوندا Lavander وصبغة الذبان الهندي Tinctura Cantharidis وصبغة الفليفلة Tinctura Capsicum وصبغة الجابورندي Tinctura Jaborandi ونظن ان كل صيدلاني قانوني في هذا القطر يعرف المراد بهذه الاسماء اذا سمعها بالعربية

(٧) جمود الغليسرين

ومنه · ان الغليسرين يجمد في الشتاء افلا يمكن ابداله بزيت اللوز

ج · لا يجمد الغليسرين النقي الاَّ اذا هبطت الحرارة الى الدرجة ٤٠ تحت الصفر واذا كان ممزوجاً بغيره وسبت منه بلورات على درجة الصفر وزيت اللوز يجمد قبله

(٨) الادهان لتقوية الشعر

ومنه · كيف تستعمل الادهان التي توصف لتقوية الشعر

ج · الغالب ان يفرك بها جلد الراس بين مغارز الشعر في المساء قبل النوم واذا كانت كثيرة المادة الدهنية او الزيتية فيحسن غسل الراس منها بالماء والصابون في الصباح اذا انف المرء من بقائها على رأسه

(٩) حفظ البرتقال

بني سويف · علي افندي اسلام · كيف يمكن حفظ البرتقال بضعة اشهر لكي يؤكل في آخر السنة

ج · لا بدَّ لحفظ البرتقال وكل الاثمار طرية من امرين الاول ان تكون خالية من الرض لانها اذا رضت دخلتها ميكروبات الفساد والاختمار في مكان الرض وهرأتها والثاني ان يمنع تبخر الماء منها والاَّ جفت من نفسها بتبخر الماء فاذا كان قشرها لا يمنع التبخر كقشر البرتقال فلا سبيل لحفظها الاَّ اذا دهن بمادة صمغية تسد مسامهُ وتمنع تبخر العصارة منهُ · واللف بالورق الصقيل يفيد بعض الفائدة ولا سيما اذا كان الاقليم رطباً غير جاف واما الاقليم الجاف كاقليم الصعيد فتتبخر فيه عصارات الاثمار وتجف ولو لفت بالورق

(١٠) البدن الكثير الشعر

كوم حماده · احد القراء · اعرف رجلاً كثير الشعر جداً شعرهُ نابت في اغلب جسمه نباتاً كثيفاً جداً فما هو سبب ذلك

ج · الاصل في الانسان ان لا يكون باديَ البشرة · وزوال الشعر الطويل من اكثر جسمه طارئ اطرأ عليه مدة تدرجه في الارتقاء بدليل ان بدن الجنين يكون مكسواً بشعر طويل قبل ولادته وان ابدان كل الحيوانات الشبيهة بالانسان مكسوة

بالشعر فلا عجب اذا ظهر الشعر الطويل في ابدان بعض الناس احياناً جرياً على ناموس الردّة اي الرجوع الى الاصل واسباب ذلك غير معروفة تماماً ولكن اذا كان والدا الرجل كثيري الشعر فلا يبعد ان يرث ذلك منهما كليهما وتأتي هذه الصفة اقوى فيهِ منها فيهما

(١١) ازالة شعر البدن

ومنهُ . هل يمكن ازالة هذا الشعر بدون ان ينبت مرةً اخرى وبدون ان يحصل ضرر ما للجسم وبماذا

ج ان ذلك ممكن بالكهربائية ولكنهُ عمل شاق متعب مؤلم كثير النفقة اذ لا بد من كي كل شعرة على حدتها من اصلها بابرتين كهربائيتين فاذا وجدت شعرات قليلة في الوجه تشوههُ كأن تقرن الحاجبين عند الذين يكرهون قرنهما او في وجوه النساء فازالتها بالكهربائية ممكنة ونفقتها حينئذٍ قليلة ولكن ازالة الشعر من البدن كلهِ عمل لا يطاق ولو امكن نظريًّا

(١٢) فائدة الشعر في البدن

ومنهُ . ما فائدة الشعر الكثيف في بدن هذا الرجل

ج . لا فائدة منهُ غير الدلالة العلمية على اصل الانسان عند الذين يقولون بارتقائهِ من الحيوان

(١٣) دواء لتقوية الجسم

ومنهُ ما اليد دواء لتقوية الدم والجسم عمومًا من غير ضرر يلحق بالصحة

ج الدواء الافيد والارخص ثمنًا الدواء والجري حسب قوانين الصحة اي الاعتدال في الاكل والعمل والسهر والنوم . فالفلاح الذي يعمل كل يوم عشر ساعات في الغيط ويأكل خبز الذرة والشعير وينام عند غروب الشمس ويقوم عند شروقها ولا يأكل اللحم الا نادراً لا يحتاج الى دواء يقوي بهِ دمهُ وجسمهُ . وكاتب هذه السطور جاوز الثانية والستين ولم يحتج الى دواء يقوي بهِ دمهُ وجسمهُ لانهُ يرى الاعتدال في كل شيء خير دواء . والذين يكثرون من شرب الادوية المقوية للدم والجسم ولو باشارة الاطباء قلما يقوون كالذين يتبعون قوانين الصحة . ولكن اذا اصيب المرء بمرض اضعفهُ او ولد ضعيف البنية بخطإ والديهِ فقد لا يستغني عن دواء يقويهِ . والادوية التي توصف لتقوية الجسم كثيرة اشهرها زيت السمك وشرابات الكيلا والحديد

(١٤) منهيات الكتاب

مطر . الخواجه حبيب الياس الزحلاوي . في احدى الخطط التي اختطها لنفسهِ تولستوي فيلسوف الامة الروسية ان يقرأ ويفكر بصوت عالٍ . فما هي الحكمة وما الفائدة التي تنتج عنها ؟ وهل في امكان الانسان ان يردد ما يجول بافكارهِ بصوت عالٍ ؟ نعم ان للشعراء هيئة وحركات يبدونها وقت النظم

على عكس الناثر الذي يناجي قلمهُ وراء منضدته بدون ادنى حراك وان ينبس ببنت شفة فهل يمكن ذلك وما رأيكم الخاص

ج · يظهر انا ان تولستوي اعتاد القراءة بصوت عالٍ والتكلم ولو همساً وقت التفكير فصار ذلك من منبهات اعصابهِ وامثلة هذا كثيرة مشهورة فمن الناس من لا تنبه اعصابهُ للاشغال العقلية الا اذا شرب خمراً او اكثر من شرب القهوة او نفث عثنونهُ أو حك رأسهُ او فرك جبينهُ وهلم جرًّا وسبيل الناثر في ذلك مثل سبيل الشاعر

(١٥) كتب الادب

ومنهُ · يتعذر على طلاب الادب اليوم مطالعة كتب النوابغ العظام والفلاسفة الذين انتفعوا العالم بافلامهم وخصوصاً ممن يجهلون اللغات الاجنبية فهل تعرفون كتباً لجان جاك روسو وتولستوي وشوبنهور وفيكتور هيجو نقلت الى العربية ؟ والرجاء افادتنا عن الكتب الجليلة العربية الواجب مطالعتها

ج · نتذكر انا رأينا ترجمة البعض من روايات تولستوي · ورأينا جانباً صغيراً من رواية البؤساء لهيجو ولا نتذكر انا رأينا شيئاً مترجماً من شوبنهور وجان جاك روسو · ومن انفس الكتب العربية نهج البلاغة وكليلة ودمنة وشرح التبريزي على حماسة ابي تمام والاغاني وتهذيب الاخلاق والعقد الفريد وحضارة الاسلام وما جمع في مجاني الادب ونخب الملح

(١٦) اسباب الانحطاط

ومنهُ · كنت قرأت مقالة لاحد مشاهير كتاب الانكليز ترجمتها احدى المجلات الفرنسوية تحت عنوان « كيف يكون سقوط الممالك » ومما جاء فيها ان اهل تلك المملكة الماثلة نحو السقوط ينغمسون في حمأة الرذائل ويترفعون عن الاديان بل ينبذونها ويتهاونون بالزواج وكثيراً ما يجاهرون بالمخادم واستشهد الكاتب على صحة قولهِ بالامة الفرنسوية · فهل افكاره صحيحة يا ترى ؟ وهل ما حل بالفرنسويين اليوم من ويلات الحروب يرشدهم الى الطريق القويم فيجددون شباب دولتهم المحبوبة من جميع سكان العالم حتى من مبغضيهم

ج · ان الانغماس في السكر والفسق وما اشبه من الرذائل يضعف القوى الجسدية والعقلية فاذا شاع في امة كثر ضعاف الاجساد والعقول فيها وانتقل ضعفهم الى نسلهم فانحطت عن مستوى غيرها من الامم التي لم يصبها ذلك · اما معتقد الانسان الديني فيؤثر فيهِ بمقدار ما يميل بهِ الى العفة والاستقامة والاجتهاد او البطر والكسل والاعوجاج · ثم ان النجاح المادي اسبابهُ مادية فالتاجر طالب الغنى يغتني اذا سعى الى

الفن بطريقة اي اذا جدّ ودقق وبحث عن الاماكن التي يتباع منها ارخص البضائع وعن الناس الذين يتباعونها منهُ برجع كافٍ وهلمَّ جرًّا ولكنهُ لا يغتني اذا قضى عشر ساعات كل يوم راكعًا صائمًا مصليًا وهذا شأن الزارع فانهُ اذا اتقن حرث ارضهِ وزرعها وربيها وعزقها وخدمتها اتتهُ بغلات وافرة واذا اهمل ذلك واكتفى بالتعبُّد والتمسُّك بأصح المعتقدات الدينية لم تجُد ارضهُ ولا نما زرعهُ . وهذا شأن الامم فان للنجاح المادي طرقًا مادية اذا سارت فيها الامَّة وصلت الى غايتها واذا لم تسر فيها لم تصل بل سبقها غيرها اليها

والظاهر ان الفرنسويين انما اخطأوا كأمَّة في تقليل نسلهم ولولا ذلك لكانوا الآن ستين او سبعين مليونًا ولسهل عليهم مقاومة المانيا وحدهم ومن المحتمل ان هذه الحرب تحملهم على العدول عن تقليل النسل ولكن يبعد ان يعم ذلك الامَّة كلها لان تربية الاولاد اصبحت كثيرة النفقات على الفقراء ومن اكبر مشاق الحياة على الذين اعتادوا الراحة والرفاهة . استخدمنا مرةً دليلاً من فقراء الاشتراكيين في باريس وسألناهُ كم ولد لهُ فقال ابنة واحدة وشكر الله لان ليس لهُ غيرها فقلنا لهُ لو جرى كل الفرنسويين مجراك لانقرضت الامَّة فقال « ان هذا لا اريدهُ لاني افضل امتي على كل الامم واود لها البقاء الدائم ولكني لا ارى لماذا اتحمَّل انا وزوجتي ولادة ثلاثة اولاد مثلاً وتربيتهم ليصيروا جنودًا يدافعون عن فلان الوزير او فلان الوالي او فلان الصرَّاف و يحفظون لهم اموالهم »

ومن المحتمل ان هذه الحرب تحمل الفرنسويين وغيرهم على السير في خطة المانيا وهي الاكثار من المعدات الحربيَّة والتمرُّن على استعمالها والتوسُّل بكل وسيلة للكسب والتفوُّق على الغير . فلا تكون فرنسا قد استفادت منها ادبيًّا لا هي ولا غيرها

باب الابحاث العلمية

الحرب والجراح والامراض

انشأ السر وليم اوسلر مقالة في « الحرب والجراح والامراض » استشهد في مبدإها بقول من قال « ان المرض هو الذي يحفر قبر الجندي لا المعركة » وزكّى هذا القول بالحملة الانكليزية المعروفة باسم حملة وكرين في البلاد الهولندية ايام حروب نابليون وقال ان عدد الجنود الانكليزية التي قتلت فيها بلغ ٢١٧ والتي ماتت بالامراض ٢٣ الفًا . وفي حرب روسيا وتوركيا سنة ١٨٢٩

دخل المستشفيات ٤ الف روسي . وفي حرب روسيا واليابان بلغ عدد مرضى الجنود اليابانية ٤٥١ في المئة من المجموع او اكثر من النصف . واستطرد الى الحرب الحاضرة فقال ان ٦٠ في المئة من جرحى الجنود الانكليزية تشفى وتعود الى اسلحتها المختلفة وهي نسبة كبيرة . ثم انتقل الى الامراض التي كانت تفتك بالجيوش في الحروب الماضية واخصها تعفن الجروح والتتانوس والغنغرينا والتيفوس والتيفويد والكولرا والزهري وقال ان فتكها بالجنود الانكليزية في هذه الحرب قليل ولكنهُ اضاف الى ذلك قولهُ ان الخطر لم ينقضِ حتى الآن وامل ان حسن التدابير الصحية يخلص الجيش من الامراض الوافدة التي صالت وجالت في حربي جنوب افريقية والقرم

اكتشاف طبي عظيم

اكتشف عالمان من العلماء الفرنسويين اكتشافاً عظيم الشان وهو مطهر فريد يقتل المكروبات وعوامل الفساد في الجروح من غير ان يؤذي انسجة الجسم . وقد اشتركت الحكومة الفرنسوية مع معهد روكفلر الاميركي فانشأت مستشفى عظيماً في كومبيان حيث البحث والتحقيق مستمران بهمة لا تعرف الملل . والعلاج الجديد مؤلف من هيبوكلوريد الجير والحامض البوريك وكربونات الجير لمنع الحموضة . وقد قال الاستاذ لدوزي الشهير في اكاديمية العلوم ان اشد الجروح وابلغها دخلت بالمستحضر الجديد فتغيرت حالها ومنظرها في اسبوع على وجه لم يعرف لهُ مثيل بطريقة التطهير القديمة وقد شفيت به اصابات الغنغرينا من اولها فاذا استعمل هذا المطهر الجديد قبل فوات الفرصة فالتهاب الجروح يصبح امراً مستحيلاً

السر جيمس مري

نعت انباء انكلترا السر جيمس مريه اللغوي الانكليزي المحقق وصاحب القاموس المسمّى New English Dictionary فقد بذل مجهودهُ في اتقان قاموسهِ ولم يألُ تعباً في تعريف مصطلحاته العلمية والفنية تعريفاً دقيقاً مضبوطاً ومشاورة اهل الخبرة كلٍّ في دائرة اختصاصهِ وجمع الشواهد لهُ من الكتب الانكليزية القديمة والحديثة حتى يستدل منها على تغير معاني الكلمات . وقد توفي قبل الفراغ من قاموسهِ وكان الرجاء شديداً انهُ يتمهُ ولا سيما انهُ قارب التمام

الافاعي والحواة

خطب الكبتن اكتون الانكليزي من موظفي الصحة في الجيش خطبة في مدينة سملا بالهند قال فيها ان كثيرين من الحواة

يدعون ان سبب مناعتهم دون لسع الافاعي هو تعودهم شرب سمها جرعات صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً ولكنهُ امتحن ذلك في بضعة منهم فوجد ان دعواهم كاذبة . ومن رأيهِ انهُ ان لم يقع الحاوي بسم الافعى بالتتابع ستة كاملة او ستة اشهر على القليل فلا يحصل على المناعة دون لسع الصل . قال : وكثير من الحواة يحملون في الغالب حيات لا ضرر منها ولا عطب في انيابها . والذين يدَّعون انهم حصلوا على المناعة من شرب السم او التطعيم انما يحصلون عليها بما يبدون من الرشاقة والخفة في تداول الافاعي السامة وهو فن تعلموهُ من الصغر . وعلاجات الحواة تقع تحت ثلاثة ابواب : الاول حجارة الحيات . والثاني عقاقير وحشائش متنوعة مثل الزرنيخ والانتيمون والافيون . والثالث الرقية المعروفة . ومن القواعد المشهورة في علم الطب ان كل مرض لهُ علاجات كثيرة فلا علاج لهُ ولياتهُ قليلة اي لا تزيد على ١٠ في المئة والتسعون الباقون يشفون معها كان العلاج . وكثرة الذين يشفون هي التي تفضي الى شهرة العلاجات ولو لم يكن لها نفع البتة

هبة اميركية وسباق في الاريحية

وعدت سيدة اميركية غنية القسم الطبي في جامعة سنسناتي بخمسين الف جنيه لبناء بناية جديدة لهُ ولكنها اشترطت للبر بوعدها واخراجه من القوة الى الفعل ان يتبرع غيرها بخمسين الف جنيه اخرى لتلك البناية لان الخمسين الفاً لا تكفيها وضربت اول يوليو الماضي موعداً لاتمام ذلك الشرط فما جاء اول يوليو حتى اعلن رئيس القسم الطبي ان الخمسين الف جنيه المشروطة انتهُ فاعطتهُ السيدة الخمسين الفاً الاخرى

البروفسور متشنيكوف

احتفل في باريس ببلوغ البروفسور متشنيكوف سن السبعين احتفالاً بسيطاً بعد ما كان في النية اقامة احتفال كبير يحضرهُ مندوبون من جميع الامم . فخطب البروفسور داربو ممدداً مناقبهُ بالنيابة عن أكادمية العلوم الفرنسوية والدكتور رو بالنيابة عن معهد باستور الذي يعمل متشنيكوف ورو فيهِ

نُذُر الحرب

نشر المسيو فلامريون الفلكي الرواقي مقالة في جريدة « الفلك » الفرنسوية قال فيها ان جميع النذر السماوية والارضية التي كان الاقدمون يتطيرون بها ويستدلون منها على وقوع الحرب سبقت هذه الحرب القائمة الآن في اوربا . فمنها اولاً كسوف الشمس الكلي في ٢١ اغسطس سنة ١٩١٤ وقد رئي في اوربا واسيا (ولكن الحرب بدأت

في اواخر يوليو من تلك السنة او اوائل اغسطس فلا يصح حسبان ذلك الكسوف نذيراً بها) . وثانياً ظهور مذنب دلافان الملقب «بمذنب الحرب» في اواخر سنة ١٩١٣ ومدة ظهوره سبع سنوات . فلا بدع اذا اعتقد اهل الخرافات بدوام الحرب سبع سنوات . وثالثاً عبور السيار عطارد على وجه الشمس في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ . ورابعاً سقوط نيزك في انكلترا زنتهُ ٣٥ رطلاً في اكتوبر الماضي . وخامساً زلزال ايطاليا العظيم في ١٣ يناير ١٩١٥ . وسادساً ظهور نجم مثلث الالوان قال تلاميذ ان انهُ سيفصل ظهورهُ فيما بعد واكتفى الآن بقولهِ انهُ كان ظاهرة بصرية حامت مبالغات العامة حولها فصارت الحية بها قبة . وسابعاً حدوث ظواهر جوية غريبة منها اشتداد الامطار في باريس في يونيو سنة ١٩١٤ وهبوط درجة الحرارة الى ٤١ ف

وقد قالت «السينتفك اميركان» في عدد اخير عن النجم المثلث الالوان ما يأتي :

«ان الحماسة الوطنية التي بلغت معظمها في فرنسا الآن رأت في السماء اشياء دعتها الى التفاؤل بانتصار فرنسا . واكثر تلك الاشياء تداولاً على الالسن نجم مثلث الالوان رئي في الافق الغربي في الخريف الماضي وفي الافق الشرقي في الشتاء . وقد قال بعض الفلكيين غير الراسخين انهُ الزهرة وهي كسائر كواكب السماء اذا قاربت الافق اتخذ نورها الابيض الى الوانهِ الاصلية . وفي سنة ١٧٩٧ — وقد كانت سنة حماسة وطنية في فرنسا مثل هذه السنة — رآها الفرنسويون فقالوا هذه نجمة نابليون . وظنها كثيرون في السنين الاخيرة نور بالون او طيارة يتجسسان والصحيح ان النجم المثلث الالوان الذي شوهد في بعض انحاء فرنسا هو الشعرى لا الزهرة»

بالونات تسبلن

عُلم من فحص بالون تسبلن الذي نزل في ارض فرنسوية مكرهاً ان سعتهُ ٦٨٨ الف قدم مكعبة ويحمل ١٠٦٠٠ رطل مؤلفة مما يأتي : ١٢ رجلاً زنتهم ١٩٢٠ رطلاً . وقود لمدة ١٢ ساعة زنتهُ ٣٧٨٠ رطلاً . صبورة لحفظ موازنتهِ ٣٥٠٠ رطل سلاح ١٤٠٠ رطل . ولما كان البالون يقطع ٣٥ ميلاً في الساعة وكان فيهِ وقود يكفيهِ ١٢ ساعة فانهُ يستطيع ان يقطع ٤٢٠ ميلاً . ومعلوم ان البعد بين لندن واقرب قاعدة المانية لهذه البالونات (اي مدينة كولونيا) ٣٠٠ ميل لذلك يستحيل غزو لندن بامثال هذه البالون . وقد رأى الالمان ذلك فانشأوا سنة ١٩١٤ بالونات اكبر منها تسع ٣٤٠٠ رطل زيادة عليها . وهذه الزيادة مؤلفة من اربعة رجال وزنهم ٦٤٠

رطلاً . ووقود لثاني ساعات اخرى وزنهُ ٢٥٣٠ رطلاً . وصيورة او قذائف وزنها ٢٤٠ رطلاً . فبات البالون الجديد بهذه الزيادة يستطيع اجتياز مسافة طولها ٧٠٠ ميل اي انهُ يقطع المسافة بين كولونيا ولندن ذهاباً واياباً ويبقى فيهِ وقود لاجتياز ١٠٠ ميل . وعادوا فبنوا بالونات اخرى سعة الواحد منها ٩٥٠ الف قدم مكعبة وملأحوهُ ٢٨ رجلاً

وكان عند الالمان في اول الحرب ١١ بلوناً تصلح للحرب . ويقال ان معمل هذه البالونات في فريدركسهافن كان يصنع بالوناً واحداً كل ثلاثة اسابيع حتى ابريل الماضي . ثم حشوا همهم حتى صاروا يصنعون بالونين كل شهر . فمجموع ما كان عند الالمان من هذه البالونات ٢٨ فقد منها ١٢ فيما يرجح فالباقي ١٦

لمعان الزهرة

خطر لبعض الفلكيين ان يقابل نور الزهرة وهي على اشد لمعانها بنور الشعرى فصورهما على الواح فتوغرافية وقابل بين الصورتين فوجد ان حجم صورة الزهرة على اللوح بعد تعريضهِ لاشعتها . اثوان يساوي حجم صورة الشعرى بعد تعريضهِ لاشعتها دقيقتين اي ان الزهرة المع من الشعرى اثني عشر ضعفاً

اللورد كتشنر والجغرافية

منحت الجمعية الجغرافية الملكية في سكتلندا مداليتها الذهبية المسماة مدالية لفستون للورد كتشنر اعترافاً بما خدم علم الجغرافية بهِ اذ مسح فلسطين وقبرس وبخدمتهِ السامية لبلادهِ

الزراعة الهندية

يستفاد من احصاء اصدرتهُ مصلحة الزراعة الهندية لسنة ١٩١٢ — ١٩١٣ الزراعية ان مساحة الاطيان التي تزرع نيلة وافيونا لا تزال آخذة في التناقص وان مساحة الاطيان التي تزرع قطناً وحبوباً وغيرها تزيد او تنقص تبعاً للامطار على ان الهند تزرع من الرز احد عشر ضعف ما تزرعهُ اليابان . وهي الثالثة في الدنيا من حيث زرع القمح فان ما تزرعهُ من الارض قمحاً هو ثلاثة اضعاف ما تزرعهُ كندا وثلاثة اخماس ما تزرعهُ الولايات المتحدة . وهي الثانية في زرع الذرة لا يفوقها فيهِ الاَّ الولايات المتحدة . ومساحة الارض التي تزرع فيها قطناً ثلاثة اخماس الارض التي تزرع قطناً في اميركا واثنا عشر ضعف الارض التي تزرع قطناً في القطر المصري

ريح المواسم

اصدرت مصلحة الزراعة الهندية مذكرة عن الظواهر الجوية التي سبقت هبوب الرياح الموسمية هذه السنة وهي رياح تهب في بلاد الاوقيانوس الهندي من الجنوب الغربي . ومما جاء فيها ان ارتفاع ضغط الهواء على اميركا الجنوبية من مارس الى مايو كل سنة يلائم هبوب الرياح المذكورة . وان هبوط ضغط الهواء في استراليا والاوقيانوس الهندي وافريقية في مايو يلائم لسقوط الامطار الموسمية في الهند وكذلك استيلاء الغيظ والجفاف على زنجبار وما اليها من بلاد افريقية ملائم له . وجاء فيها ايضاً ان الرياح الموسمية هذه السنة قد تجيء دون رياح السنة الماضية ولكن ليس ثمة دليل يدل على نقص يذكر في مقدار الامطار

تركيب الكون

لو عرفنا بُعد كل كوكب من كواكب الفلك عنا وسرعته لكان علينا بتركيب هذا الكون تاماً . ولا يلزمنا لمعرفة ما يطرأ على ذلك التركيب من التغيير الا ان نعرف حركات النجوم والكواكب . ونحن انما نعلم الآن مركز عدد عديد منها لا كلها وحركتها المقاطعة لخط النظر . وكذلك نعلم سرعة قليل منها في خط النظر وابعاد البعض وهو اقل من القليل . فمن ذلك ترى ان ما لدينا من المعرفة لحل هذه القضية قليل ضئيل . ولكن يمكن مع ذلك معالجة هذه القضية بطرق دورية والنظر في ملابساتها لحل عقدها حلاً تقريبياً . وقد انشأ المستر جونسن من موظفي مرصد غرينتش مقالة في هذا الشان قال فيها ان الرأي الشائع الآن بين علماء الفلك هو ان في مركز نظامنا الفلكي شمساً هائلة القدر اكبر من شمسنا بالوف المرات وابهى نوراً . وحولها ملايين من الشموس الصغرى المختلفة الحجوم وهي والشمس الكبرى بمثابة نواة لسديم ضخم المقدار لولبي الشكل يحيط بالنواة وهو ما نسميه بالمجرة . وان هذا النظام الهائل ليس الا جزيرة واحدة ربما كانت صغيرة بالنسبة الى الالوف بل الملايين من الجزر التي تملأ صدر هذا الفلك الدوار . وقد أبان في مقالته وجه الصحة في الحقائق التي بني هذا الرأي عليها

خلل الساعات

ظهر من تجارب بعض العلماء ان تعليق ساعات الجيب على الحائط مدة الليل بحيث تخطر تبعاً لحركة زنبركها يحدث فيها خللاً الا اذا منع ذلك الخطران وان مقدار الخلل يختلف بين كسور الثانية في اليوم الى ربع دقيقة او اكثر . وكان اللورد كلفن قد جرب مثل هذه التجارب في حياته وتوصل

بوا الى هذه النتيجة فجاءت التجارب المذكورة آنفاً مؤيدة لنتيجته

علف غير آلي

في المانيا كثير من البطاطس والبنجر واللفت وغيرها من المواد التي تكثر الكربوهيدرات فيها. وكانت تأتي من روسيا بالعلف المشتمل على المواد الالبيومنية. اما الآن وقد قلّ العلف المحتوي للمواد الآكية مثل كسب بزر الكتان والشعير وغيرهما فقد اكتشف بعض العلماء طريقة يحول بها السكر وسلفات الامونيا الى خميرة مغذية او علف يشتمل على ٥٠ في المئة من الالبيومن. اما السكر ففي المانيا كثير منهُ. واما الامونيا فتحضر من النتروجين والهيدروجين بطريقة هابر وبمقادير هائلة

الموطرات في اميركا

يؤخذ من احصاء ان مئة شركة من شركات الموطر او الاتوموبيل في اميركا ستصنع في السنة القادمة اكثر من مليون موطر جديد منها شركة واحدة تصنع نصف مليون وحدها واخرى ١٠٠ الف واخرى ٨٠ الفاً. و٧٥ و٦٠ و٤٠ و٥ شركات تصنع كلٌّ منها ٢٥ الفاً. و٤ تصنع كلٌّ ٢٠ الفاً. و٥ تصنع كلٌّ ١٠ آلاف. والثمانون الباقية تصنع كلها معاً ٧٥ الفاً

مذنب قرب الشمس

كانت ابنة الدكتور بروكس الاميركي مدير مرصد سمث ترقب وجه السماء مساء ٢٥ يونيو الماضي بعد غروب الشمس بعشر دقائق فرأت في الشفق نجماً منيراً يقارب الزهرة في لماعته وبقي ظاهراً دقيقتين ثم حجبتهُ سحابة سوداء. وفي اليوم التالي افتقدتهُ فلم تجد لهُ اثراً. ومن رأي ابيها انهُ مذنب لم يُرَ ذنبهُ بسبب نور الشفق بعيد المغيب

امراض النبات

القى الدكتور اوتو ابل الالماني خطاباً في بضع جامعات اميركية عن النبات وقوة مقاومتهِ للامراض والآفات المختلفة التي تسلط عليهِ. فقال ان الناس عادة يقاومون تلك الآفات بقتلها وقتل مكروباتها قبل ان تسطو على النباتات المختلفة ولكنهُ ارتأى مقاومتها بتربية نباتات تقوى على المكروبات وتصدُّ هجومها فلا تنال منها مأرباً واستشهد بتربية القمح المقاوم للمن وبتربية البن المعروف باسم Coffea robusta لمقاومة الآفة المعروفة باسم Hemleia vastatrix وبتطعيم الدوالي الاوربية على الدوالي الاميركية المعروفة بمقاومة آفة الفيلوكسيرا. وكان البروفسور بفن الانكليزي من اساتذة جامعة كمبردج قد جرّب تجارب كثيرة في القمح فخرج باخراج صنف اشتهر بان المن لا يستطيع ان يسطو عليهِ

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والاربعين

صفحة
٢٠٩ معادن السلاح والذخيرة
٢١٤ مدفع سكودا النمسوي (مصوّرة)
٢١٧ رأس المالية المنتفع
٢٢٣ لماذا ينبغي على اميركا ان تنضم الى الحلفاء
٢٣١ قضية غريبة
٢٣٥ الفصاحة والبلاغة (ن . ش)
٢٤٢ طعام الانسان
٢٤٧ حرب الانسان والحشرات
٢٥٠ فعل الجرذان في الحروب
٢٥٢ غرائب النبات (مصوّرة)
٢٥٦ قوانين الحياد وغير المحاربين
٢٥٩ خسائر هذه الحرب من النفوس
٢٦٢ فاتحة الحرب

٢٨٠ باب الزراعة * عمل المكروبات في التربة الزراعية : موسم القطن المصري . صادرات القطن الاميركي . الصادرات الزراعية المصرية
٢٨٨ باب تدبير المنزل * اللبن . تعليم اللبن . تركيب اللبن . غش اللبن . مقام اللبن بين الاطعمة . تأثير الهم والغم في الصحة . عمر القرى بعد الاربعين . نباب السيدات
٢٩٧ باب الصناعة * الزجاج . التربة بالرش . الفحم الحجري في انكلترا والمانيا
٣٠٠ باب المسائل * وفيه ١٦ مسألة
٣٠٥ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٧ نبذة